إلى روح استاذ الفقهاء والمجتهدين

الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري

- وروح جدي صالح الأنصاري

- وروح الشاب بشير الأنصاري

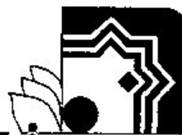
نسألكم الدعاء

عبدالله علي صالح الأنصاري

تحت أجنحة البرزخ

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م



للطباعة والنشر والتوزيع

بئر العبد - خلف محطة دياب

تلفاكس : (+9611) 55 29 00 - (+9611) 27 49 42

جوال : (+9613) 80 01 49 ص.ب : 25/91 بيروت - لبنان

E-mail : dar_asafwa@hotmail.com

رواية من عالم لا يفنى

(١)

تحت أجنحة البرزخ

رواية تحكي مسيرة إنسان في عالم ما بعد الموت

تأليف

عبد الرزاق الحجامي

دار الصفوة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾
لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ
قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾

[سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩ ـ ١٠٠]

مقدمة المؤلف

أصبحت متطلبات الحياة في عصرنا كثيرة، ومشاكله كبيرة، وإغراءاته عظيمة، فراح معظم الناس يغرقون في بحر الغفلة، ويغوصون في أعماق عالم المادة، فهم يشغلون أوقاتهم الثمينة فيها ولأجلها وكأنها أصبحت هي المقصد الأخير والغاية القصوى، فغفلوا عن حقيقة هذه الدنيا وأنها ليست إلا معبراً قصيراً لعالم الأبد، بل غفلوا عن حقيقة أرواحهم التي لا تقبل الفناء وأنها خُلقت لعالم أوسع وأوسع، ألا وهو عالم البقاء.

كنتُ انظر لما حولي من الناس وأتمعن أحوالهم من حيث الأيمان بالله واليوم الآخر ومدى اثر ذلك على سلوكهم، فوجدتهم على أصناف أربعة:

الصنف الأول: هم أصحاب العقول النيرة، والقلوب المطمئنة ممن جعلوا الله بين أعينهم، والآخرة مقصدهم، وجنان الخُلد غايتهم، فهم لا يخطون خطوة إلا وضعوها في ميزان رضا الله وسخطه، وقصدوا بها جنانه، وتجنبوا بها نيرانه، فأصبحت أخلاقهم الإسلام، ومنارهم القرآن، ترى نور الأيمان يسطع في وجوههم، وشريعة الإسلام تتجسد في سلوكهم.

وإني لم أقصد بكتابي هذا ذلك الصنف من الناس، وهم قليل



عددهم، عالية درجتهم، وما أنا وما خطري حتى أهديهم، ودرجة إيماني لا تصل إليهم، بل إنني بين الحين والآخر اقتبس من أنوارهم، واقتدي بسلوكهم، فأجعلهم مناراً أنير به طريقي المتشابك في هذه الدنيا الفانية.

وأما الصنف الثاني: فهم أصحاب النفوس اللوّامة، والقلوب المضطربة، ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، يريدون التقرب إلى الله ويحبون الخير للناس، فهم لا يعرفون الغش والخداع، ولكن لو صارحك أحدهم واظهر ما في قلبه إليك، لوجدته يعاني صراعات في أعماق نفسه، ولشكا إليك الحُجب المانعة التي تقف أمامه كالسد العظيم تمنعه من الوصول إلى الله والعيش بقلبه مع الله، فهو يريد مناجاة ربه بخشوع وخضوع، ولكن ما أن يقف بين يديه حتى تهاوت عليه أفكار الدنيا من كل حدب وصوب، لا ينجو من واحدة إلا ويقع في أخرى، واجتمعت شياطين الجن حوله يقذفون عليه وساوسهم من كل جانب، فيقوم من مقامه مضطربا، ما وجد في مناجاة ربه حلاوة، ولا في استجابة دعائه أملا.

وثمّة صنف آخر غرق في الدنيا وانشغل بها حتى لم يعد يجد لنفسه وقتا يناجي فيه ربه ويتأمل حاله، وتعدى ذلك حتى إلى واجباته، فتراه يؤديها وهو يفكر في تمامها قبل شروعها، ووجد الشيطان في ذلك فرصة سانحة وأرضا لمكائده خصبة، فراح يطوّق بذلك المسكين حباله، ويجره إليه، حتى صار أسيرا في يده يلقي عليه ما يشاء.

أما الصنف الرابع: فحدث ولا حرج، فقد أصبحت الدنيا قبلته التي يوليها وجهه ويرى كل شيء منها وإليها، نسي خالقه وأطاع شيطانه الذي أحكم مخالبه فيه، وصيّره عبدا له، فترك حتى واجباته،



بل تعدى ذلك إلى ظلم أبناء جنسه من أجل أن يعيش مترفا على جسر الدنيا، وليتعذب ويفنى غيره!

كان من الأمور المهمة لدي هو كيف يمكن التذكير بعالم الآخرة والحياة ما بعد الموت، وغرسه في قلوب هذه الأصناف الثلاثة الأخيرة، كي يعطي ثمراته على سلوكهم، ويقطع حبائل شياطينهم، فيعودوا لما خُلقوا لأجله، ولكن...

ولكن واجهتني صعوبة في كيفية ذلك، فقد أعطي أحدهم كتابا عقائديا أو فلسفيا ليقرأه، ولكن سرعان ما يضعه جانبا بعد أن يطالع صفحة أو اثنتين منه، وبعض منهم يشكو عدم رغبته فيه لعدم التأثر به، وانه لا يغير من سلوكه ولا يزيده إقبالا على ربه. وبعض آخر إذا تحدثتَ معه بحديث الدين والمعاد، ونصحته بالاتعاظ وترك المحرمات، تراه يتعذر إليك ويتهرب منك إن لم يتخذك سخريا.

وبعض منهم من يحتاج إلى حبل غليظ يجره بقوة شديدة ليُخرجه من بحر الغفلة والتعلق بعالم المادة إلى بر التفكر وصحوة الضمير.

وخلاصة لتجربتي مع هؤلاء الأصناف (وكثير منهم إخوتي وأحبتي) وجدتُ أن الأسلوب الأمثل لإخراجهم من غفلتهم، وزرع بذرة التفكر بعالم الآخرة في قلوبهم، هو أسلوب الكتاب القصصي الذي يستطيع أن يجذبهم نحوه ويجرهم إليه، فلا يمل القارئ من مطالعته، ولا يتركه حتى تنتهي أحداث قصته المترابطة فيما بينها. كما يمكن زرع مطالب مفيدة خلاله تفيد القارئ في زيادة معلوماته، وتذكره بعالم آخرته، وتقول له: انك خُلقتَ لعالم ابدي لا فناء فيه، وأن الموت ليس إلا سفر من عالم صغير إلى عالم أوسع وأكبر، وأن كل عمل



يزرعه اليوم يراه غدا أمامه وقد تجسم بهيأة تتناسب مع خير ذلك العمل أو شره.

وبناءاً على الأسس العقائدية لعالم ما بعد الموت المستوحاة من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وآراء العلماء بدأتُ بكتابة روايتي هذه على قسمين: القسم الأول يحكي أحداثا في عالم الدنيا وعالم البرزخ، وهو الكتاب الحالي الذي بين يدي القارئ العزيز، والقسم الثاني والذي أسميناه (في أمواج القيامة) يحكي أحداثاً لوقائع ما بعد البرزخ، ليشمل القيامة الكبرى وما بعدها، وقد تمت طباعته أيضاً بتوفيق من الله.

وطلبي ممن يطالع كتابي هذا من الاخوة والأخوات أن لا يبخلوا بإرسال أي رأي أو نقد يرونه مناسبا على بريدنا الالكتروني عبر شبكة الإنترنيت كي يتسنى لنا الاستفادة منه والاستنارة به في طبعات الكتاب اللاحقة.

كما اني اتشرف باستقبال اسئلة قرّاء هذه الرواية أو طلبات توضيح لمعالم أخرى قد تكون غامضة لدى البعض عن عالم البرزخ، وسأجيب عنها إن شاء الله طبقا لما توصل اليه عقلي القاصر وبحثي الزاهد حول هذا الموضوع.

وعسى أن يكون عملي وإياكم هذا حسنة جارية تعيننا وتكون زاداً لنا في سفرنا الأبدي إن شاء الله.

عبد الرزاق الحجامى

البريد الإلكتروني:

azq967@gmail.com



الفصل الأول

اختلاف في المبدأ



لا أعلم كيف أصف نفسي وقلبي يوم جلستُ أنظر إلى العالِم الجليل الذي أرشدني إليه صديقي مؤمن وقد مدّ يده لاستلام ورقتي الصغيرة التي كتبتُ فيها أسئلتي.

تمعّن فيها ثم رفع رأسه وكأنه ينتظر مبادرة مني بالكلام، فتداركتُ ذلك وقلتُ له:

ـ سيدي أرجو أن تسمح لي أن اشغل وقتك قليلاً فقد ضاق صدري، ولا أجد من يفتح قلبه لي ويستمع بتمعّن لما أقول، أغلبهم مشغولون، حتى الذي أفنى عمره في طلب العلم والتفقه في الدين نسينا أو تناسانا، فبقينا حيارى في الميدان.

كان ينظر لي بتأمل عميق، ويحاول أن يشعرني بعطفه وحنانه، وقد بدت على وجهه ملامح التأثر والاهتمام بي فقال:

ـ بني العزيز ماهي مشكلتك؟

قلتُ:

ـ سيدي إن الدنيا صغُرت في عيني حتى تشاءمتُ منها، وحقرتُ في نفسي حتى أصبحتُ أتنكر لما فيها، فأراها كالصفحة السوداء تمنعني من الوصول إلى الله...



كانت كلماتي الأخيرة ممزوجة بهمسات البكاء الذي منعني من الاستمرار في الكلام، أحسستُ انه يجب أن أتمالك نفسي فانتخبتُ الصمت، ونظرت إلى الأسفل واضعاً يدي على وجهي الذي ابتل بالدموع. لم يستمر صمتي طويلاً حتى رفعتُ وجهي لأرى الحاضرين وقد بدت عليهم علامات التعجب والدهشة لما يشاهدونه، حينها تدارك العالم الجليل ذلك الصمت وقال:

- بني العزيز إنني أدعوك غداً للمجيء إلى بيتنا بعد صلاة المغرب والعشاء، وسأطالع أسئلتك لأرى إن كان بإمكاني الإجابة عنها.

قلتُ:

- سيدي وكيف يتسنى لي ذلك وليس لي علم بمكان بيتكم؟

- إن صديقك مؤمن سبق وان زارنا مرات عديدة.

- وهل تسمح بصحبته معي هذه المرة.

- بالطبع يا ولدي، وسأكون بانتظاركما على سفرة العشاء إنشاء الله.

غادرتُ المجلس بعد أن شكرتُ العالم الجليل، وحاولتُ المشي بخطوات متّزنة وخفيفة ألقيتُ خلالها نظرات إلى غرفته وإلى المكتبة الكبيرة التي وُضعت الكتب فيها بصورة مرتبة ومقسمة على رفوف معنونة، كما لفت نظري تواضع غرفته وبساطتها بالرغم من أنها تعتبر مكتبا لكل اجتماعاته التي يقيمها بوصفه إمام جمعة للمدينة، وتذكرتُ حينها مكتب الشركة التي اعمل فيها وزخارفه وأثاثه فلا مقارنة بين الاثنين!

اخترتُ هذه المرة أن اسلك طريق البيت مشياً على الأقدام لأتمكن

من التفكير خلاله بالمسائل والمطالب التي سوف اعرضها على إمام الجمعة غدا، ولكن ما أن أردتُ العبور إلى الناحية الثانية من الشارع حتى سمعتُ نداءً من مكان قريب، التفتُ وإذا به جمال يقول:

- سعيد إلى أين تذهب تحت وهج هذه الشمس المحرقة؟

- إلى البيت.

- عجباً لأمرك ألا تحس بحرارة الشمس على بدنك؟!

- حقيقة أنني لم أحس بحرارتها إلا بعد أن أخبرتني بها لأني كنتُ مشغولا عنها بأمر آخر.

هز جمال رأسه وفتح باب سيارته، لكني رفضتُ الصعود معه بشدة، فأصرّ أكثر وأخذ بيدي يجرها إليه، حينها رأيتُ انه ليس من اللائق أمام أعين الناس ذلك، فقررتُ الصعود معه بعد أن شرطتُ على نفسي استثمار الطريق بدعوته إلى الصواب ونهيه عما يفعله، وما أن أغلقتُ باب السيارة حتى بدأ كلامه من جديد:

- إنني كثيراً ما أفكر في أمرك وأكاد ابكي على حالك، فكيف بمهندس مثلك يعيش حياة البسطاء، ويكاد يفقد ابسط وسائل الراحة كالسيارة مثلاً؟!

أجبته قائلاً:

- بل إنني أعجب من أمرك كيف تقود سيارة ذات طراز حديث، وتعيش في بيت ذي ثلاث طوابق مجهز بالتبريد وغيره وقد أُسس على مال حرام؟!

- ألا ترى أنني احسن حالاً ومالاً منك، فأنت لا شيء عندك وأنا

عندي كل شيء، فهل هناك عاقل يحكم بخطأ طريقتي في الكسب والعيش؟

لم أكن متهيئاً للدخول معه في نقاش كهذا، لذلك حاولت التأخير في الإجابة لغرض التفكير في كيفية الاستمرار معه، حتى ظن أنني استسلمتُ إليه ولم يبق عندي ما أقوله، فبادر قائلاً:

ـ عزيزي إنني لا أريد إلا الخير لك و..

قاطعته بقولي:

ـ مهلاً مهلاً يا جمال، أرجو أن لا تعتبر صمتي استسلاما لرأيك، فإن من عادتي التفكير قبل كل كلام أنطقه، كما إنني أسألك بأي دليل تحب أن اثبت لك بأنك الآن تسير بطريق آخره الهلاك والخسران؟

ـ أنا لا أؤمن إلا بالعلم الحديث والكمبيوتر، وأرجو أن تدعنا من الأحاديث والروايات التقليدية التي مُلئت بطون الكتب القديمة بها.

ـ حسناً، وأنا أعدك أن لا اذكر لك شيئاً من ذلك، ولكن أسألك كيف توصل الإنسان إلى هذه المرحلة من التطور وصناعة الأجهزة الحديثة وغيرها؟

ـ بالعقل والتجربة.

ـ إذاً يمكن لنا أن نستخدم العقل في حديثنا.

ـ لا بأس بذلك.

ـ لو أخذتك إلى عمارة بسبعة طوابق، يحوي كل طابق على سبع شقق سكنية مؤثثة ومجهزة بنظام التبريد والتدفئة المركزي للهواء والماء، ولديها ارتباط كمبيوتري فيما بينها، وذات شكل معماري خلاب يجلب إليه الأنظار، ثم أقول لك أن العامل عبد الله هو الذي



كان المصمم والمنفذ والمشرف على هذا المشروع، فهل تصدق ذلك وأنت تعرف جيداً أن عبد الله لا يعرف حتى القراءة والكتابة؟

ـ إن مبنى كالذي تقول يحتاج إلى فريق من المهندسين لتصميمه وتنفيذه ولا يمكن لعبد الله أن يتورط بمثل هذا المشروع.

ـ وهل يمكن أن تقول أنها صُمّمت ونُفّذت دون تدخل أي شخص، أي إن موادها من الطابوق والإسمنت والرمل وغيره قد تجمعت من تلقاء ذاتها وكونت لنا هذا المبنى؟

ـ هذا لا يمكن.

ـ إذاً بنظرك من صنع الإنسان والشمس والقمر والنجوم والكواكب والمجرات بهذه الدقة العجيبة التي أثبتها العلم الحديث بوسائله المتطورة؟

بقي جمال متحيراً، وبقيتُ أنا انظر إليه منتظراً جوابه، حينها احسستُ الحيرة على وجهه، فهو لا يستطيع الإجابة بأنها قد انشطرت من تلقاء نفسها وتكونت بهذا الشكل، لأنه قد نفى إمكانية حصول ذلك قبل قليل.

لم يطل صمته كثيرا وإذا به يجيب:

ـ لا بد أن هناك فريقا من المهندسين نجهلهم تعاونوا على صنع هذا الكون وأدارته.

ـ بالطبع، وهؤلاء المهندسون ليسوا مثلنا، لأن كوناً بهذه العظمة يحتاج إلى مهندسين فوق عظمته بالتصميم والتنفيذ كي لا يكونوا كالعامل عبد الله بالنسبة إلى العمارة ذات الطوابق السبعة.

ـ نعم.



ـ هل تذكر يوم عقدنا اجتماعاً في مبنى الإدارة المحلية وذلك لتشكيل لجنة تصميم وتنفيذ مشروع المجمع السكني (الأنصار)، وكنتَ أنت أول مخالف لفكرة اللجنة المشتركة، وكنتَ تقول إن المشروع يجب أن يكون تحت إمرة وإدارة شخص واحد وإلا فمن اليوم الأول سنُبتلى بمشكلات الاختلاف في الآراء؟

ـ صحيح، كان ذلك في العام الماضي، ولو عملوا بالرأي الذي قلته لهم لما تأخر المشروع ثلاثةأشهر حتى تم تعيين مديرٍ له.

ـ إذاً كيف تقول الآن إن فريقاً من المهندسين صنعوا هذا الكون وتعاونوا على تدبيره وأدارته، وأنت ترى أن الكون منذ آلاف بل ملايين السنين باقٍ على نظامه ودقته في الحركة والتناسق، إذن من المؤكد أن صانعه ومدبره هو مهندس واحد قدرته في التفكير والتنفيذ فوق قدرتنا وقدرة الكون، وهذا المهندس نحن نسميه الله.

كأنه أراد أن يقول شيئاً لكنه لم ينطق به، حينها أراد أن يشعرني بأنه مشغول بسياقة سيارته فقال:

ـ إن الأطفال يحتاجون إلى انتباه خاص إليهم، خصوصاً عند اجتماع عدد منهم، فإنهم يتجرئون على العبور أمام السيارات وإن كانت تسير بسرعة كبيرة.

كنتُ انظر إليه بدقة وإذا به فجأة يلتفت لي وكأنه تذكر شيئاً وقال:

ـ انك لحد الآن لم تثبت لي الموضوع الذي بدأ حديثنا من أجله.

بدأنا شيئاً فشيئاً نقترب من الشارع الرئيسي الذي يؤدي أحد فروعه إلى بيتنا، لذلك أحسستُ أن عليّ إثبات الموضوع بأقصر وقت وإلا



سيكون حديثنا ناقصاً لم يحقق الهدف الكامل الذي قصدته، فأجبته بقولي:

ـ صحيح ما تقول، لكن لدي سؤال اجبني عنه.

ـ لم امتنع عن إجابة أي سؤال لك حتى الآن.

ـ ما هو هدف خلق الإنسان على هذه الأرض؟

تململ قليلاً ثم قال:

ـ ممكن أن يكون لتعمير الأرض وبنائها وإيصالها إلى مرحلة من العمران قد تكون فوق ما وصلت إليه الآن.

ـ لكن العلم الحديث اثبت أن الأرض تسير نحو الفناء، إذ سيأتي يوم تتعادل فيه درجة الحرارة، ولا تكون هناك طاقة للتحرك، وتنعدم الحياة، ولا تبقى حينئذ جدوى من إعمارها كما تقول، كما أن الإنسان في كل جيل لا يشهد عمران الأرض الذي سيشهده الجيل التالي، فلايتحقق الهدف إذن لا للجيل الأخير ولا للأجيال الحالية فضلاً عن الماضية.

ـ إذن بنظرك ما هي غاية خلق الإنسان؟

ـ الغاية يجب أن تكون أبدية، ولكي تكون كذلك يجب أن يكون الإنسان ابدياً، أي لا يفنى عند موته، بل ينتقل إلى عالم آخر وآخر، فهل رأيتَ مهندساً يصمم مبنى لينهدم بعد عشرة أو عشرين عاماً؟! أم هل رأيت شخصا يصنع لوحة نفيسة وجميلة ثم يكسرها ويحطمها؟!

ـ حتى وإن سلّمنا أن الإنسان ينتقل بعد موته إلى عالم آخر، فكيف تثبت أنني أسير نحو الهلاك والخسران كما تقول، وما علاقة هذا بذاك؟

بدأ جمال يخفف سرعة سيارته شيئاً فشيئاً لقرب وصولنا إلى محلناالسكني، حينها أحسستُ بوجوب تدارك الوقت واستثمار الفرصة بأسرع ما يكون فأجبته قائلاً:

ـ لا يمكن للعقل أن يقبل تساوي مصير الطلاب وقبولهم في الجامعات مع اختلاف درجاتهم، ولا يمكن قبول تساوي الظالم والمظلوم أو السارق والمسروق، بل العقل يحكم بوجوب أن يأخذ الظالم والسارق جزاءه بالسجن أو الغرامة وما شابه ذلك، فإذا سلّمنا بهذا كله، فهل يمكن للخالق أن يساوي بين خلقه بعد موتهم دون أن يعذب السارق والظالم وأمثالهم، وأنت ترى أن كثيراً ممن أكل حق الناس ومضى في ظلمهم لم يأخذ جزاءه في هذه الدنيا.

فتحتُ باب السيارة بعد توقفها وشكرته على إيصاله إياي، ولا اعلم إن كان قد فهم كلامي الأخير ومقصده أم لا، لكن يبدو من نظراته العميقة لي انه أدرك ما أقول.

طرقتُ باب البيت وإذا بصوت أقدام مرتضى يطرق سمعي وهو يركض بسرعة حتى وصل الباب وفتحه، نظرتُ إليه لأرى وجهه مرتبكاً ولونه مصفراً ودموعه جارية فقال:

ـ بابا، بابا، ماما خرجت وقالت الآن اذهب وأعود لكنها لم تعد حتى الآن.

ـ متى ذهبت وإلى أين؟

ـ بعد الصلاة قالت لي سأذهب لاشتري شيئاً من الدكان الذي في رأس الشارع فلا تخرج من البيت وسأعود فوراً، لكنها لم تعد.

أمسكتُ بيد مرتضى الذي لم يتجاوز سنينه الأربع، وذهبنا معاً إلى

الدكان الذي عادةً ما نشتري منه احتياجاتنا، وما أن وصلتُ إليه وسلمتُ على صاحبه حتى رأيتُ الارتباك على وجهه، وبدأ يتململ في كلامه، فعلمتُ من ذلك أن أمراً ما قد حدث، فسألته مستغربا:

ـ هل أتتكم أم مرتضى قبل ساعتين؟

ـ نعم.. نعم.. و..

ـ وماذا؟

كان مضطرباً في كلامه وكأنه قد أذنب ذنباً يحاول الاعتذار منه فقال:

ـ بعد أن اشترت ما تريد أرادت عبور الشارع إلى الجهة الأخرى، فلم تكد تخطو خطوةً حتى أتت سيارة بسرعة عالية و..

ـ وأين هي الآن؟

ـ نقلوها إلى المستشفى المركزي.

انتابني أسف وحزن عميق، واسترجعتُ في نفسي وقلتُ: لا حول ولا قوة إلا بالله، والحمد لله رضاً بقضائه وصبرا على بلائه.

طلبتُ من صاحب الدكان استخدام هاتفه فقال:

ـ نعم نعم، هل اتصل لك بشخص ما؟

ـ أكون شاكراً لك.

أعطيته رقم الهاتف المطلوب وهو هاتف نقّال لسائق إجرة تعرفتُ عليه مسبقا، وكثيرا ما كنتُ استأجره بهذه الطريقة لغرض تنقلاتي الخاصة بالشركة، فتحدثتُ معه وأخبرته بالمكان المطلوب حضوره إليه، ثم تقدمتُ خطوات نحو مكان الحادث فرأيتُ اثر دماء متفرقة لا



تزال باقية هنا وهناك، وسيارة وسط الشارع بصورة غير اعتيادية قد لُطّخت مقدمتها بدم مبعثر، حينها أحسستُ أن الحادث كان شديداً قد لا يُبقي على حياتها.

ـ بابا أين ماما لنذهب لرؤيتها.

ـ حسناً يا ولدي سنذهب إليها عن قريب.

ـ بابا، بابا هذا عمو جمال.

لم ينتظر مرتضى جوابي له، وذهب مسرعاً نحو جمال بعد أن رآه قد نزل من سيارته، وقبل أن يصل إليه عاد ليمسك بيدي ويجرها نحوه وهو يقول:

ـ بابا هذه سيارة عمو جمال لنذهب معه.

تقدم جمال نحونا وهو يحاول إظهار تأسف وحزن مصطنع على ما حدث بعد اطلاعه على الموضوع من الأطراف فقال:

ـ يؤسفني ما حدث لزوجتك، أرجو أن تكون بحال حسن الآن ولا يكون الضرر كبيراً، لنذهب بسرعة إلى المستشفى فسيارتي بخدمتك.

ـ أشكرك فإني قد اتصلت بسيارة لتأتي بعد قليل.

ـ اتركها، سيأتي ويعود وهل في ذلك شيء؟

ـ نعم، فحين استأجرته يجب إعطاؤه حقه وإرضاؤه ولا يجوز الفرار من إجرته. لم تتأخر سيارة التاكسي كثيراً فقد جاء مسرعاً وكأنه يعلم بالحادث، فركبتُ معه وتحرك بينما أعين جمال كانت تلاحقني بنظرات ثاقبة وأعين ساخطة...



الفصل الثاني

نـزاهة لا تُطاق



كان ما يشغلني أثناء إقامة الفاتحة هو لقائي مع العالم الجليل في هذه الليلة، وهل سأتمكن منه على الرغم من أن صديقي مؤمن لم اتصل به لحد هذا الوقت، وهل سأجد الوقت لذلك، أم كيف سأترك المعزّين الذين امتلأ المسجد بهم.

هكذا كانت الأفكار تشغل فكري وتجرني بحبالها يميناً ويساراً، وإذا بالحاضرين يقومون وبالصلاة على محمد وآل محمد يهتفون، يا ترى ما الذي حدث؟! نظرات الجميع متجهة نحو باب المسجد، التفتُ أنا أيضاً نحوه، وإذا بالذي كان يشغل فكري يقدم بنفسه ويطل بوجهه النوراني، نعم، انه هو مع صديقي مؤمن وكأنه يتفقد أحدا ويسأل عنه، أجل انه يسأل عني بالتأكيد، لكن من أنا وما خطري حتى يطلبني إمام الجمعة، وهل استحق ذلك، أم انه يبحث عن شخص آخر غيري؟

استقر في مجلسه، وهدأ الحاضرون، واستأنف القارئ كلامه، فتقدمتُ بخطوات مرتبكة نحوه حتى وقفتُ أمامه. فوجئ برؤيتي فقام معزياً لي بكلامه المذكر بالله ورحمته مشفوعا بجُمل من الدعاء لي وللطفل الذي بقي وحيداً معي، شكرته على تفضله ذلك وطلبتُ منه الجلوس مع صديقي مؤمن، فجلس وجلستُ عن يمينه، وأردت أن



أؤكد له أنني على وعدي في الحضور إليه على الرغم مما حدث، لكنه سبقني بالحديث مبادراً بلهجته الحوزوية المحبوبة عندي، والتي كثيراً ما لاحظتها على ألسنة طلبة العلوم الدينية فقال:

ـ أنا أعتذر من عدم تمكني لاستقبالكم هذه الليلة لحدوث أمر طارئ يحتّم عليّ السفر، ولا أظنني سأتمكن من ذلك عن قريب أو بعيد لأنكم على أبواب سفر طويل.

لا اعلم إن كان قد أتم كلامه معي أم لا، فقد جاءه وفد للسلام عليه وتجمعوا حوله، فانقطع كلامنا ولم استطع التحدث معه مرة أخرى حتى نهض وأراد الخروج من المسجد، وكان آخر كلامه معي أن قال:

ـ اعلم يا بني أن خير الزاد في السفر التقوى، فاسع لتحصيلها هذه الأيام. ثم غادرنا وذهب... لا ادري ما الذي عقد لساني عن سؤاله عن معنى أنني على أبواب سفر طويل، مع انه حالياً ليس عندي قصد السفر إلى أي مكان! لا ادري!

انقضت الأيام الثلاثة لمراسيم الفاتحة، وقد اختلفتُ فيها مع عدة أشخاص من الأقارب بشأن الإسراف والمصروفات الزائدة عن الحاجة، والتي افنوا وقتهم واجهدوا أنفسهم من اجلها رياءً في رياء. أنا اعلم أن أعمالهم كانت رياءً، وهي عند الميت لا تنفعه بشيء ولا تخفف عنه قسوة اللحظات التي يعيشها الآن[1]... نعم انه بحاجة إلى

(١) مما يؤسف له أن مراسيم الفاتحة التي تُقام في مجتمعاتنا ليس فيها منفعة للميت، ولا إلى أهله الذين تُصب فوق رؤوسهم مصيبة تكاليفها وأتعابها فوق مصيبتهم في رحلة=

ركعتين خفيفتين، أو آية من القرآن بحضور قلب، أو صدقة قليلة، أو دعوة مستجابة، لكن لا أحد لديه الأيمان الحقيقي بذلك.

على أية حال انقضت، ولكن لم ينقضِ تفكيري بكلام العالم الجليل وجمله الأخيرة، فهل يا ترى كان يقصد سفر الآخرة؟! نعم، لعله كذلك وإلا فما معنى وصيته بأن خير الزاد التقوى، وهل التقوى تكون متاعاً لغير الآخرة، نعم انه كان يقصد ذلك، ويؤكده قوله (فاسع لتحصيلها هذه الأيام).

آه الويل لي، إذن أيامي في الدنيا قليلة، آه.. كيف بالصكوك التي لم يصل وقتها، وكيف بحساب العمّال الذي كله في دفتري الخاص ولا يكتبه ويقدمه للشركة أحد غيري، أم كيف بالأسرار التي في صدري والتي طالما ترددتُ في كشفها متأملاً أن يعود جمال لرشده ويتوب من أعماله، إنها أسرار سرقاته من الشركة وقد لا يعلم بها أحد غيري، أم كيف بـ..

أحسستُ بصداع في رأسي، فقمتُ من مجلسي وقررتُ الذهاب إلى بيت جد مرتضى لجلب مرتضى منهم، فلعل برؤيته وملاعبته تسكن نفسي وتهدأ أعصابي، فأستطيع التفكير بما يجب عمله.

ما أن وصلتُ حتى حملتُ مرتضى وذهبتُ به إلى إحدى الحدائق العامة ذات الخضرة الجميلة وتحت السماء الزرقاء الصافية، حينئذ

=فقيدهم، وماذا لو يُستثمر وقت مراسيم الفاتحة (إضافة إلى تلاوة آيات من القرآن الكريم) بمواعظ أخلاقية أو تذكير بالموت وتبعاته، يتخللها ذكر مصائب أهل البيت ووصاياهم، بدلا من أن يكون المسجد محلا للمحادثات الدنيوية البحتة، أو سجلا لتسجيل حضور المعزّين ليس إلا.

أعطيته كرته لينشغل باللعب بها، أما أنا فقد أخرجت ورقةً وقلماً لأكتب ما يجب فعله من أجل الخلاص من المتعلقات المتشابكة التي طوقتُ بها عنقي، فكان من ضمن ما قررتُ عليه مصارحة مسؤول الشركة بما اطلعتُ عليه بشأن جمال، كذلك بيع ما زاد عن الحاجة في البيت لتسديد الصكوك، وغيرها من الأعمال التي قررتُ إتمامها غداً إنشاء الله، عندها قلتُ في نفسي ما احسن أن يكون الإنسان خفيف ثقله مستعد لسفره من هذه الدنيا، ليكون ثقيل الميزان في الآخرة، فلو جاءني الموت هذه اللحظة بماذا أجيب ربيّ، ومن يقضي عني ديوني و... ووسط هذه الأفكار وإذا بصوت مرتضى ينادي بعد أن أحس بالتعب من اللعب مع الأطفال الذين كانوا في الحديقة:

ـ بابا، بابا لقد تعبتُ من اللعب.

ـ تعال هنا يا عزيزي.

أسرع راكضاً نحوي وضممته إلى صدري فقال:

ـ أريد ماما، لماذا لم تأت معنا، أريد ماما.

ـ عزيزي إن أمك ذهبت ولن تعود.

ـ أين ذهبت؟

لا ادري بماذا أجيبه ليتناسب مع سنّه وسؤاله، فقلتُ:

ـ عزيزي إن أمك ذهبت إلى عالم آخر لتعيش هناك بجوار الله الذي كانت تصلي له يومياً، وكنتَ أنت تأتي لتلعب بمسبحتها على السجادة، هل تذكر ذلك؟

لقد كان موقفاً عجيباً صدر منه ترك أثرا عميقاً في نفسي لا أظن أن صورته يوماً ما ستنمحي من ذاكرتي، إنها صورة مرتضى عندما أثنى

رقبته ونظر إلى الأرض، وبدأت قطرات دموعه تسيل على خديه دون أن يصرخ أو يصدر منه أي صوت آخر.

ذهبنا للصلاة في مسجد قريب من الحديقة العامة، وبعد أدائها احسستُ أن صلاتي هذه المرة تختلف عماً قبلها، فتساءلتُ في نفسي لماذا انقضى عمري وأنا لم أحس بطعمها إلا هذه المرة، أتُرى أنها كانت غير مقبولة عند ربي؟ أم أنها لم تكن كاملة؟ فيا ويلاه ماذا عن صلاتي السابقة، وهل هي في محل قبولٍ عند الحق تعالى، أم أنها مردودة على رأسي؟

من هنا بدأت دوامة الفكر تحوم فوقي وتجرني يميناً وشمالاً، فأحاطت بي وملأت خاطري، وتساءلتُ مرة أخرى: إذا كانت صلاتي هذه المرة صلاة مودع للدنيا، فلماذا لم تكن كذلك قبل هذا الوقت؟

ألم أكن اعلم أنني مودع لها يوماً ما، فإن لم يكن اليوم فغدا أو بعد غد ...

هكذا كان حالي في هذه الأيام، وكلما قيدتني أفكارٌ كهذه بحبائلها أبعدتها عني بإقناع نفسي أن الله غفور رحيم، وهو القائل في كتابه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

وتلوح في الأفق أمامي كلمات الأمام زين العابدين التي كنتُ كثيراً ما اقرأها في دعاء أبي حمزة الثمالي كلما تضيق الدنيا بي وأحس بخوف واضطراب لما سيؤول إليه مصيري، فاقتبس نور الأمل منها خصوصاً عندما يقول: (فاعطني من عفوك بمقدار أملي ولا تؤاخذني

---

(١) الزمر / ٥٣

بأسوأ عملي، فإن كرمك يجلّ عن مجازاة المذنبين، وحلمك يكبر عن مكافاة المقصّرين)[١]، أو عندما يقول: **(إلهي إن أدخلتني النار ففي ذلك سرور عدوك، وان أدخلتني الجنة ففي ذلك سرور نبيك، وأنا والله اعلم أن سرور نبيك احب إليك من سرور عدوك)**[٢].

ذات مرة استحضرتُ هذه الكلمات في قلبي وأسكنتها فيه، أحسستُ بشيء من الراحة والطمأنينة، وكأن جيوش الرحمن قد حلّت، ورايات الأمل أضاءت، حينها حملتُ مرتضى وذهبتُ إلى البيت إذ ساد الظلام وظهرت النجوم مضيئة في وسط السماء، فتركتُ مرتضى داخل البيت وخرجتُ إلى الحديقة الأمامية لأستنشق الهواء وإذا بجرس التلفون يدق، أسرعتُ إليه، ورفعتُ سماعته لأسمع صوت مدير الشركة وهو يقول بعد أن حيّاني بتحية الإسلام:

ـ مهندس سعيد، أردتُ أن أسألك عن السقف الخامس للمبنى رقم ٦٠ هل هو حاضر للصب غداً؟

ـ هناك نواقص قليلة فيه، لكن يمكن إصلاحها غداً إنشاء الله، وسأكون قبل الظهر هناك لأشرف بنفسي على إتمامها.

ـ يعني هل يمكن التوصية على الصب بعد غد؟

ـ يمكن لك ذلك.

ـ حسناً أشكرك كثيراً وفي رعاية الله.

ـ أ أ.. مهندس أرجو أن لا تقطع الاتصال.

---

(١) مقتطف من دعاء أبي حمزة الثمالي.
(٢) نفس المصدر أعلاه.

ـ تفضل هل هناك شيء؟

ـ نعم إن لدي حديثا معك بشأن مهندس جمال، وقد يطول الكلام فيه ولا يمكن طرحه عبر الهاتف، فهل تسمح لي باليسير من وقتك للتحدث بشأنه؟

ـ هل تريد أن تأتي غداً الساعة الرابعة عصراً إلى المكتب؟

ـ أنا أودّ أن يكون الحديث سرياً، إذ إن موضوعه يتطلب ذلك، وأفضّل أن يكون ليلاً تجنباً لتعثره بسبب كثرة المراجعين لكم.

ـ لا بأس بذلك، يمكنك أن تأتي الساعة التاسعة ليلاً إلى بيتنا وسأكون بانتظارك غداً هناك.

ـ وماذا لو كان اللقاء هذه الليلة، يعني الآن؟

ـ الآن؟! ولماذا كل هذه العجلة فهل الأمر يستوجب ذلك؟

ـ نعم يستوجب كثيراً.

ـ حسناً سأكون بانتظارك من الساعة التاسعة إلى العاشرة.

ـ أشكرك وفي أمان الله.

يبدو أن الوقت سيدركني، فعليّ تحضير العشاء لمرتضى فقد بدت عليه علامات الجوع، وليس من الصحيح أن يبقى هكذا.

على كل حال وصلتُ في الوقت المناسب إلى بيت مدير الشركة، وتم اللقاء في بيته، وبدت عليه علامات التعجب والتأسف كثيراً لما كان يسمعه بشأن جمال، وبدأ يضرب أخماسا بأسداس عندما تكشّفت له أمور كان غافلاً عنها وبأدلة لا يمكن حملها على أمر آخر، فأحسستُ بثقلها عليه كلما صارحته ببعضها، وفي المقابل كنتُ أحسُّ



بخفة الثقل عنيّ شيئاً فشيئاً وكأني أرفع صخرة بعد أخرى من على ظهري، لأضعها على عاتقه وألقي بمسئوليتها نحوه، توقفتُ عن الكلام وذهب في تفكير عميق رفع رأسه بعدها وقال:

ـ لكن لماذا لم تصارحني بذلك قبل هذا الوقت؟

ـ كنتُ أتأمل منه أن يعود إلى رشده ويعيد الأموال إلى محلها كما كان يعد بذلك بين مدة وأخرى، ويلمّح على أنها قرض لا أكثر، وله صلاحية التصرف بها.

ـ انه سيأتي غداً قبل الظهر إلى المبنى رقم ٦٠، أرجو أن لا تكلمه بشيء عن حديثنا هذا، فأني أعلم كيف سأتصرف معه.

في صباح اليوم التالي وكالعادة حملتُ مرتضى إلى بيت جده، ثم توجهتُ إلى البنك لأضع في الحساب مقداراً من المال الذي حصلتُ عليه من بيع عدة حاجات من البيت، بعدها توجهتُ إلى موقع العمل الذي فيه أبنية عائدة للشركة كانت قيد الإنشاء، وأعطيتُ كل عامل بطاقةً تحوي على جدول أيام عمله يوماً بيوم مع إمضاء عليه حتى يمكن لهم مراجعة الشركة لاستلام مبلغها في حالة غيابي آخر الشهر.

لأول مرة في حياتي أحسستُ أني أصبحت حراً غير مقيّد، خفيف العبء، قد فُكَّت جميع القيود عني، وقُطّعت كل الحبال مني إلا حبل الله، ولا شيء الآن يمنعني من الوصول إليه، إلى الهدف والغاية، إلى المقصد من خلقي...

وبينما أنا في دوامة الفكر هذه وإذا بأمر يخطر على ذهني...أنا شكوتُ لإمام الجمعة الحُجُب التي تمنعني من الوصول إلى الله، وقد علمتُ الآن أنه لم يتركني دون جواب عن عدم مبالات منه، بل اراد



لي معرفة الطريق بنفسي، وقد لمستُ الآن أن الوصول إلى الله والدنو منه لا يكون إلا بالتحرر من تبعات الدنيا ومادياتها والتزود بزاد التقوى للرحيل اليه...

آه لماذا كل هذه الحجب قد وضعتُها أمامي، فهي كالسد الشامخ الذي يمنع الحقيقة أن تظهر بوجهها النوراني، لا ادري لماذا يصنع الإنسان شقاوته بيده ليعيش الدنيا في ظلمات الحيرة والضلال والحرص والغضب، ولا يذوق السعادة حتى لقطرة منها، بل الأكبر من ذلك لماذا يفشل الإنسان في معبر قصير، ونعيم الأبد ينتظره، ولماذا يقدم الإنسان بنفسه إلى جهنم كان يعلم أنها أمامه ... آه لماذا كنتُ هكذا ولم أذق السعادة إلا هذه اللحظة، وقد خالطها الندم والحسرة على ما سبق.

كنتُ أنجز الأعمال المطلوبة على الرغم من دوامة الأفكار هذه حتى أصبحت الساعة العاشرة والنصف صباحا. توجهتُ إلى المبنى رقم ٦٠ لأرى إن كان السقف قد رُفعت نواقصه التي أبلغتهم بها يوم أمس أم لا، وعلى الرغم من بُعد المسافة بين الأبنية، فقد اخترتُ المشي للوصول إلى هناك، فالمسافة لا تستحق إعطاء أجرة لقطعها.

وصلتُ المبنى وتوجهتُ إلى السلم للصعود إلى السقف الخامس، وفي أثناء الصعود كان لي توقف في كل طابق لأرى وأسجّل مراحل تقدم العمل فيها وما هي احتياجاتها، وكذلك للإشراف على كيفية إجرائها طبق الخرائط المطلوبة، حتى وصلتُ الطابق الرابع وإذا بجمال واقف كأنه ينتظر شخصاً ما، ولما رآني تبسم ابتسامته الكاذبة التي تعودتُ عليها ثم قال بلهجة ساخرة:

ـ ماذا ستفعل يا مهندس سعيد، الصب غداً والسقف غير مُهيأ.

ـ لدي الوقت الكافي لتحضيره فلم يبق نقص إلا الشيء القليل.

ـ إذن لنصعد فوق السقف ونرَ هل ما تقوله صحيح أم لا.

اخذ بيدي يجرها بقوة بعد أن امسكها وهو يقول:

ـ هيا نصعد فليس لدينا وقت كاف.

ـ يجب عليّ أولا أن أتفقد هذا الطابق ثم نتوجه لما فوقه.

لاحظ جمال إصراراً كبيراً مني على ذلك، ورأى أن ليس في اليد حيلة فقال:

ـ حسناً لنتفقد معك هذا الطابق ونرى ماذا سيجري.

لم يطل بقاؤنا فيه كثيراً، بعدها توجهنا إلى السقف الخامس، صعدتُ بخطوات بطيئة وهادئة تدل على التعب من الجولة التي قمتُ بها لحد الآن، أما جمال فلاحظتُ خطواته مرتبكة، ووجهه مضطرب، ولونه يتغير بين الحين والآخر، كما لاحظته في كلامه متردداً تخالطه ابتسامات مُفتعلة تظهر بها أسنانه في كل مرة بصورة قبيحة، فتعجبتُ كثيرا من تصرفاته، انه لا يعلم بحديث البارحة مع مسؤول الشركة بشأنه، إذن فما هذه التصرفات الغريبة منه؟! على أية حال وصلنا واستقرت أقدامنا فوق السقف الخامس، لقد كانت مساحته كبيرة تقارب الألف متر مربع، ألقيتُ نظرة عامة عليه فلم أرَ غير شخصين كانا فوقه، اتجه جمال نحوهما، ولم يطل كلامه معهما حتى تفرقا واتجها نحو السلم للنزول، فناديتهما واتجهتُ نحوهما وقلتُ لأحدهما وقد وضع قدمه على الدرجة الأولى من السلم:

ـ إلى أين تذهبان؟ وماذا قال لكما مهندس جمال؟



ـ لقد امرنا مهندس جمال بإحضار ١٠ قطع حديد بقطر ٢٠ وبطول ٤ أمتار.

ـ لكنّا لا نحتاج إلى حديد بهذا القطر والطول للسقف، لقد وُضعت ورُبطت كلها بالأمس.

ـ ماذا نفعل يا مهندس فانه قد أمرنا بذلك، وان لم نفعل فسوف يرتفع صراخه علينا.

ـ حسناً يمكنكما الذهاب، لكن هل أكملتما النواقص التي عينتها لكما بالأمس.

ـ نعم يمكنك التأكد منها.

ذهبا وتوجهتُ نحو جمال فرأيته وقد اصبح الارتباك على وجهه أكثر فأكثر، وازداد احمرار لونه فسألته قائلاً:

ـ جمال، ما الذي حدث؟

ـ لا شيء، تعال هناك لأريك النقص الذي لم يُصلَح لحد الآن.

قال هذا وقد أمسك يدي ليجرها نحوه، وهو يشير إلى حافة السقف قائلاً:

ـ هناك لنذهب هناك.

اتجهتُ نحو حافة السقف ونظرتُ إلى الحديد الذي رُبط فيه فرأيته مطابقا للخرائط، وليس فيه نقص يُذكر، فوقفت منتصباً لأقول له إن الربط صحيح، لكن قبل أن أتفوه بكلمة، أحسستُ بوضعِ يديه على ظهري، ودَفَع بي بقوة من على السقف إلى الأسفل، ولم يكن هناك شيء تمسك به يدي، فنظرتُ لما تحتي في اللحظة الأولى من السقوط، وإذا بقطع الحديد الحادة المبعثرة هنا وهناك، حينها تيقنتُ

أنها لحظات الخلاص، وما هي إلا أنفاس قليلة وتنكشف الأسرار، ويظهر الغيب الذي أُخفي عني طوال عمري، هي لحظات معدودة لا أكثر وسأصل إلى ما تخوفتُ منه تارةً واشتقتُ إليه تارة أخرى.

هي لحظات السقوط بين السقف الخامس والأرض، وقد لا أعطي حقها في الوصف إن وصفتها، لكن أقول بشأنها انه لم يبقَ لي فيها غير الله أحد في الوجود أتوجه إليه، ولا شيء انظر فيه، ولا أمل أتطلع إليه، فقد قطعتُ خيوط الأمل من كل شيء غيرالله، بل كل شيء غاب عني ولم يبق لي أحد سواه، وحقاً في تلك اللحظات أحسستُ بمعنى التوحيد، وتذوقتُ طعمه، حينها نطق لساني صارخاً يا الله يا الله يا..

ولم أكمل الثالثة حتى سمعتُ صوت السقوط قويا على الأرض، وبدأ الألم شديداً يسري في بدني، وسُلبت مني القدرة على الصراخ، وانشلّت أعضائي عن الحركة، وحُجبت عني الرؤية، فلم اعد أرَ شيئاً ولا أبصرُ أحدا، وغرقتُ في إغماء شديد وعميق...

الفصل الثالث

على أبواب السفر



أفقتُ من حالة الإغماء العميق الذي غرقتُ فيه، وظهرت لي ملامح شخص لم أتعرف عليه مسبقاً، ولم أرَ له من قبل نظيراً، وكلما انظر إليه تبهت عيني لرؤيته، وينبهر فكري لعظمة خلقه، فهو بهيئته يعجز الخيال عن وصفه ومقارنته بخلق من مخلوقات الدنيا. ظهر فجأة بين الجمع المزدحم حولي، يصاحبه عدة مخلوقات أخرى ذات أجنحة لطيفة وأبدان تبدو خفيفة، لكن العجيب أن الناس كانوا مشغولين بي عنه، ولم يلتفتوا إليه على الرغم من غرابة منظره واختلاف هيأته وعظمة خلقه، وكأنهم لم يروه، أما أنا فقد شغلني هو عن غيره، ولم اعد انظر إلى ما حولي بقدر ما انظر إليه، نعم يبدو انه كان بجنبي ثم ابتعد عني، والآن بدأ يقترب أكثر فأكثر، فاضطربتُ حتى أحسستُ برجفة في بدني، وكلّ لساني عن النطق والسؤال عمن يكون.

التفتَ إلى من كان معه وتكلم معهم بكلام لم افهمه، إذ اختلط كلامهم مع دوي من اجتمع حولي، وصراخ عدة نساء يبدو أنهن قد أتين من البيوت المجاورة للمبنى، لكني التقطتُ منه بعض الكلمات منها قوله لهم:

ـ انه من المؤمنين، لكنه لم يصل إلى مرتبة الأولياء فارفقوا به قليلاً وأعينوه على نطق الشهادتين.

كان بدني بصورة لا يسمح لي بالتحرك يميناً ويساراً، وبصعوبة بالغة كنتُ التفتُ إلى ما حولي، فوجئتُ بصديقي مؤمن وهو يصل بصورته المشرقة، ويجلس بجنبي ليقول:

- سعيد، سعيد هل تسمع كلامي؟

أجبته بصوت ضعيف جداً:

- نعم.

- سعيد، قل لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقد يكون آخر كلام يجري على لسانك، هل تسمعني يا سعيد؟

سمعتُ كلامه، وأردتُ نطق ما قاله لي ولكن ظهر فجأة عدة مخلوقات بوجوه قبيحة سوداء فهي كالقير الأسود، أصابني خوف شديد منهم وقد اجتمعوا حولي فأمسكوا بلساني عن النطق، وكلما أردتُ نطق لا إله إلا الله منعوني من ذلك، عندها سمعتُ مؤمنا مرة أخرى ينادي:

- سعيد هل تسمعني؟

مرة أخرى أجبته بصوت ضعيف:

- نعم.

- سعيد ألم تستطع قول لا إله إلا الله؟

- بلى.

- سعيد، يبدو أن الشياطين قد اجتمعت حولك لتمنعك من النطق[1]، والملائكة حولك يرشدونك إليه فأستعن بهم، انك في حالة

(١) الكافي / ج ٣ / ص ١٢٣: (عن أبي عبد الله الصادق ﷺ قال: ما من أحد يحضره=

احتضار، سعيد، لقد بدأ سفرك الطويل الذي تنبأ به إمام الجمعة، هل تفهمني؟ سعيد، هل تفهمني؟

لم يكن مؤمن يرى ما أرى، لكن على اثر كلامه بدأتُ أدرك ما أعيش، نعم إنها سكرات الموت، وهذا الذي لم اعرفه ملك الموت مع أعوانه قد جاء ليقبض روحي، نعم وهذه ملائكة الرحمة عن يميني، وهؤلاء الشياطين عن يساري، إلهي ماذا أفعل، إلهي يا من انطق عيسى في مهده انطق لساني بذكرك ...

التفتَ لي أحد ملائكة الرحمة وقال:

- انك كنت كثيراً ما تذكر الله في دنياك، وسنحاول أن نجد لك شيئاً يبعد الشياطين عنك.

التفت إلى أصحابه ليقول لهم:

- هل تجدون من أعماله شيئاً ينفعه في أزمته هذه؟ ادعوا أعماله وأوقاته لتتجسم أمامه.

هول لا يمكن وصفه، ولوصُب على أهل الدنيا لغُشِي عليهم ولم يفيقوا، لقد تجسمت أمامي كل الأفعال القبيحة التي فعلتها منذ أن بلغتُ سن التكليف وحتى يومي هذا، آه كم كانت موحشة وكم كانت قبيحة وبشعة، وكذلك الأوقات والساعات التي ضيعتها خالية أو مملوءة بالذنوب، يا حسرتي على ما فرطتُ في جنب الله، يا حسرتي على كل لحظة ضاعت من عمري ولم املأها بالزاد ليومي هذا، يا حسرتي على كل عمل خالطه الرياء، ويا ويلتي على كل مال أخرجته

=الموت إلا وكل به إبليس من شياطينه من يأمره بالكفر ويشككه في دينه حتى تخرج نفسه، فمن كان مؤمنا لم يقدر عليه...).

لغير الله، وعلى كل كلمة تفوهتُ بها أو كتبتها لغير الله، وعلى كل تبسم أو فرح لم يخالطه ذكر الله، ويا ويلتي على المال الذي تركته والأثاث ذي القيمة العالية التي بقيت ساكنة البيت، فبماذا تنفعني الآن، آه وما هذه الوحوش المخيفة المظلمة في سوادها، وهل سترافقني؟ وإلى متى؟ وما ذلك الأسود المكشّر أنيابه، وما هذا السوط الذي بيده؟ آه آه...

لشدة الهول والحسرة أُغمي عليّ، ولم أفق إلا بسياط الشيطان الذي كان قد أمسك بلساني، وابرز أنيابه ضاحكاً ومقهقهاً بصوت عالٍ وشكل قبيح وهو يقول:

ـ يا عزيزي لا تتحير وقل ربي الدنيا، ألم ترَ أن الدنيا كانت زهية بهية، ألم ترَ أن الشريف من شرفته أمواله، ولو كنتَ مطيعاً لها بما أمرتك ما وصلتَ إلى هذه الحال، فذلك جمال لا يزال يترفه ويتنزه ويأكل ويشرب ما يشتهي ويتلذذ بما يريد، فهل تعلم كيف وصل إلى ذلك؟ أنا أقول لك، انه أطاع الدنيا فأوصلته إلى هذا المقام، إذن فهي الرب لا غيرها، وأنا أنصحك بأن تعترف بذلك، فلعل حالك يتحسن، ولعلي مع أعواني الذين تراهم نستطيع أن نخرجك مما أنت فيه.

ازدادت حيرتي، واسودت ظلمتي، وانشل فكري عن التفكير، فأصبحتُ انظر لما حولي يميناً ويساراً، وإذا بأحد ملائكة الرحمة يقول:

ـ انظر إلى هناك، إنها أعمالك الحسنة الخالصة لله وأفكارك الطيبة وأوقاتك التي ملأتها بطاعة الله، وتلك مساعداتك لإخوانك، وتلك نفقاتك في سبيل الله...



كنتُ انظر إلى خلاصة أعمالي الحسنة واحداً واحداً وحسبما يعرّفني به الملك، فاستبشرتُ وفرحتُ بذلك كثيراً على الرغم من الحسرة التي لم تزل ترافقني على عدم الإكثار في كل واحد منها، حينها توجه أحد الملائكة نحو ملك الموت وقال له:

ـ لقد وجدنا في أعماله ما ينفعه في عدم العدول عن دّينه وفي نطق الشهادتين.

قال ملك الموت:

ـ وما هي تلك الأعمال التي يمكنه الاستغاثة بها؟

ـ لقد كان يؤدي الصلاة في أول وقتها، ويصل رحمه، ويحسن بوالديه[1]، وكان كثيراً ما يقرأ دعاء العديلة وسورة يس والصافات ودعاء (رضيت بالله ربا...) بعد كل صلاة، وأيضاً كان يقرأ زيارة آل يس، ويكثر من ذكر لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[2].

قال ملك الموت:

ـ نعم إنني كنتُ انظر إليه حين وقت الصلاة فأراه يقيمها في أول وقتها، وقد سجلتُ له ذلك كله.

كنتُ لا ارغب في النظر إلى الشيطان حولي، لكني أردتُ أن أرى

(١) بحار الأنوار / ج ٧١ / ص ٦٦: (عن الإمام الصادق ﷺ انه قال: من أحب أن يخفف الله عز وجل عنه سكرات الموت، فليكن لقرابته وصولا وبوالديه بارا، فإذا كان كذلك هون الله عنه سكرات الموت...).

(٢) هذه جملة من الأذكار النافعة لثبات المؤمن على عقائده الحقة، وعدم عدوله إلى الباطل عند الاحتضار (وقد أوردها المحدث الجليل الشيخ عباس القمي في كتابه منازل الآخرة).

اثر كلام الملائكة مع ملك الموت عليه، فرأيته قد اشتعل غضبه بعد أن ترك لساني وقال لأعوانه:

ـ لا فائدة من الجلوس هنا والحديث معه، إن لديه من الأعمال ما لا نستطيع بوجودها تغيير عقيدته ومنعه من نطق الشهادتين، اذهبوا جميعاً وسوف انتقم منه في مكان آخر، سأنتقم منه...

ذهبوا عني وهم يجرون بأذيال الخيبة، ونيران الغضب تتطاير منهم، لا أعادهم الله عليّ ولا أراني صورهم مرة أخرى، حينها سمعتُ وللمرة الثالثة نداء مؤمن وهو يقول:

ـ سعيد، هل تسمعني؟

هذه المرة دون أن أقول له نعم، نطق لساني بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، هنالك رأيتُ الابتسامة على وجه صديقي مؤمن والدهشة على كل من كان حولي من الحاضرين، فقد بدأوا يسألونه عما يجري، ولماذا تبسم بعدما كان قلقاً خائفاً، وقد ابتل وجهه بالعرق الذي اختلط بالدموع، نعم حقاً انه صديق مخلص، ولم يتخلَ عني حتى في اللحظات الأخيرة من حياتي. أما أنا فبعد أن نطقتُ كلمة التوحيد أصبحتْ لي الجرأة على التكلم مع الملائكة، فقلتُ لأحدهم:

ـ هل أستطيع أن اخبر من حولي بما يجري لي كي يعتبروا ويؤمنوا بعالم ما بعد الموت؟

ـ كلا انك لن تستطيع النطق والكلام مرة أخرى مع أهل الدنيا، وهذه سنة الله في خلقه، وله الحكمة في ذلك.

اقترب مني ملك الموت وسلم بقوله:



ـ السلام عليك أيها العبد المؤمن[1].

فوجئتُ بسلامه علي، ولكني تمكنتُ من جوابه فقلتُ:

ـ وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

ـ إنناماًمورون من الجليل الأعلى بأخذ روحك ونزعها من بدنك الدنيوي.

ـ آه، الويل لي، هل تسمح لي بأيام قليلة أعيشها في الدنيا مرة اخرى لأستكثر من أعمالي، وأثقل ميزاني، وأودّع أحبائي؟

ـ هيهات من ذلك، فالله لا يؤخر نفساً إذا جاء اجلها، وقد أعطاك من الوقت في الدنيا ما يكفي للرقي إلى كمالات الأولياء، ونيل درجاتهم، فأين كنت من ذلك؟

سمعتُ ذلك منه فجزعت جزعاً عظيماً، وأصابتني حسرة كبرى، ودعوتُ بالويل على نفسي، فبأي أعمال سأقابل بها ربي، وما هي إلا أعمال خمس سنين، أما ما قبلها فقد كانت محاطة بالجهل والغفلة، محفوفة بالشك والرياء، استحضرتُ ذلك في نفسي فبكيتُ بكاءً شديداً، فتدارك ملك الموت حالي وقال:

ـ على كل حال، إن كفة ميزان أعمالك الحسنة قد غلبت على كفّة سيئاتك بعد أن أبدل الله بعضها حسنات، وقد تقبل توبتك النصوح قبل خمس سنين، فلا تخف ولا تحزن، فوالذي بعث محمداً ﷺ لأنا أبر

(١) من لا يحضره الفقيه / ج١ / ص١٣٥: (وسُئل رسول الله ﷺ كيف يتوفى ملك الموت المؤمن، فقال: إن ملك الموت ليقف من المؤمن عند موته موقف العبد الذليل من المولى فيقوم هو وأصحابه لا يدنون منه حتى يبدأه بالتسليم ويبشره بالجنة).

بك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك[1]، افتح عينيك جيداً وانظر إلى هؤلاء الأنوار هل تعرفهم؟

إنني كنت قد قرأتُ في دار الدنيا أن المؤمن عند الاحتضار يتمثل له الرسول والبتول والأئمة الإثنا عشرعليهم سلام الله جميعاً، وهؤلاء الأنوار هم بلا شك، نعم، إن عدتهم أربعة عشر، وذلك رسول الله، وتلك الزهراء الطاهرة، وذاك أمير المؤمنين علي وبجنبه الحسن والحسين[2] و...

التفتُ إلى ملك الموت وأجبته:

ـ نعم اعرفهم، إنهم رسول الله ﷺ وبنته الزهراء وابن عمه علي والحسن والحسين والتسعة المعصومين من ذرية الحسين صلوات الله عليهم أجمعين.

قال ملك الموت:

ـ صدقتَ يا عبدالله، فهل تحب أن يكونوا رفقاءك في الجنة؟ أم تريد العودة إلى الدنيا؟

أجبته فوراً:

ـ لا والله، لا أريد الدنيا، فخذ روحي وعجل بها، فأنا لم أفارقهم

---

(١) بحار الأنوار / ج٦ / ص١٦٩: (عن سدير الصيرفي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك يابن رسول الله هل يُكره المؤمن على قبض روحه؟ قال: لا والله، انه إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له ملك الموت: يا ولي الله لا تجزع فوالذي بعث محمدا ﷺ لانا ابر بك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك...).

(٢) بحار الأنوار / ج٧٩ / ص١٧٤: (ما من مؤمن يحضره الموت إلا ورأى محمداً وعليا حيث تقر عينه، ولا مشرك يموت إلا ورآهما حيث يسوئه).



بقلبي في الدنيا، فكيف الآن وقد تمثلوا أمامي، ورأيتُ أنوارهم وحقيقة صورهم.

التفتَ ملك الموت إلى الملائكة وأمرهم بجلب شيءٍ من ماء الكوثر، فأتوني به واجتمعوا حولي، وبيد كل واحد منهم كأس منه، تناولتُ أحدها وشربتُ قليلاً منه، لكن أي شراب وأي طعم كان، هو ماء ليس كماء الدنيا، فشتان بينهما، شربته على عطش شديد، فأحسستُ بارتواء عظيم وطعم لذيذ ما تذوقتُ في الدنيا ماءً بلذته، وقد وهبني قوة ونشاطاً، وأزال عني النحول والكسل والاضطراب، فسألتُ أحد الملائكة قائلاً:

ـ من أين أتيتم بهذا الماء؟

ـ انه من ماء الكوثر[1].

ـ وهل حوض الكوثر قريب من هنا؟

ـ بالنسبة لنا قريب جداً، ونحن نعطيه لبعض عباد الله المؤمنين لنخفف عنهم ألم الاحتضار، وفراق الدنيا وأهلها، ونبشرهم بنعيم الآخرة وشرابها.

ـ وماذا تفعلون بالكفار والعاصين حين تتوفونهم؟

ـ ذلك ليس واجبنا، فنحن ملائكة الرحمة نختص بتوفي أهل الأيمان، أما الكفار والعاصون فيتوفونهم ملائكة الغضب، يضربون وجوههم وأدبارهم.

---

(١) مستدرك الوسائل / ج٧ / ص٥٠١: (عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال:... وإذا كان العبد في حالة الموت يقوم على رأسه ملائكة، بيد كل ملك كأس من ماء الكوثر وكأس من الخمر يسقون روحه حتى تذهب سكرته ومرارته...).



أتمّ الملك كلامه، حينها بادرني ملك الموت بقوله:

ـ والآن هل تريد العودة للدنيا؟

ـ كلا لا أريد الدنيا، احملوني إلى حيث يشاء ربي.

لم أكمل كلامي حتى أحسستُ برجفة في بدني، فهمتُ منها أن روحي بدأت تخرج أكثر واكثر حتى وصلت الحلقوم، فإذا بحديقة واسعة واشجار ما شاء ربي تمثلت أمامي، فوجهتُ إليها نظري وفكري، فإذا بها من الجمال ما لا يوصف، ومن السعة ما ليس لها حد. التفتُ إلى أحد الملائكة وقلتُ له:

ـ ما هذا الذي أرى؟

قال:

ـ انه مقامك في الجنة، طبتَ وطاب مثواك، وانك تقدم على رب رحيم كريم.

قلتُ لهم:

ـ إنني لا أريد العيش في الدنيا مرة أخرى، ولكني أريد العودة ساعة واحدة فقط لأخبر أهلي بما أرى، هل يمكن لي ذلك[1]؟

ـ هيهات لك ذلك، ولورجعتَ وأخبرتهم بما رأيتَ لاتهموك بالكذب والخداع، كما إن عذابهم سيكون بعد ذلك أشد، ورجعتك إليهم إنما تكون نقمة عليهم لا رحمة لهم.

---

(١) من لا يحضره الفقيه / ج١ / ص١٣٦: (وقال الصادق ﷺ انه إذا بلغت النفس الحلقوم أري مكانه من الجنة فيقول: ردوني إلى الدنيا حتى اخبر أهلي بما أرى، فيقال: ليس إلى ذلك سبيل).

لم أعد أسمع كلام من اجتمع حولي من أهل الدنيا، لكني ما زلتُ أرى صورهم وألاحظ شفاههم تتحرك دون أن افهم ما يقولون، أما مؤمن فيبدو انه فهم أن روحي قد وصلت الحلقوم، ولم اعد اسمع شيئاً، لذلك لاحظته وقد اكتفى بالنظر لي دون الكلام. نعم لم يطل هذا الوضع كثيراً حتى اختفت صورهم عني، ولم اعد أرى أحداً منهم، ويبدو أن عيني الدنيوية قد عُطِّلت واصبح بدني جثة هامدة ملقاة بينهم...

حقاً انه أمر عجيب، ولا اصدق ما أرى، حلّقت روحي فوق بدني، وانفتحت عيني البرزخية لأرى وجوه من اجتمع حولي من أهل الدنيا قد تغيرت إلى حيوانات أو أشباه حيوانات بأشكال عجيبة غريبة، مختلفة فيما بينها، إلا مؤمنا إذ لا يزال بينهم بوجهه النوراني على هيئة إنسان، فتعجبتُ منه كيف لا يخالطه الخوف والرعب منهم، بل رأيته يُهدّأ بهم بعد أن ارتفع عويلهم. أما النساء فبدأن يضربن بأيديهنَّ على وجوههن ويصرخن، فقلتُ مع نفسي لا حول ولا قوة إلا بالله، ليتهم يعلمون أني ما زلتُ حياً أراهم واسمع كلامهم، لكني اصبحتُ متأكداً من أنهم لم يعودوا يسمعوا كلامي مهما ناديتهم وأخبرتهم بحالي، فإنهم ما زالوا من أهل الدنيا، ولا يتعدى سمعهم وبصرهم إلى ما بعد عالمهم من عوالم الملكوت.

اشتد الصراخ أكثر فأكثر فنادى ملك الموت: ما هذا الصراخ، والله ما ظلمناه ولا يسبقن اجله، ولا يستعجلن قدره، وما لنا في قبضه من ذنب، وان ترضوا بما صنع الله تؤجروا، وان تحزنوا وتسخطوا تؤثموا[1].

---

(١) الكافي / ج٣ / ص١٣٦: (عن أبي عبدالله ﷺ قال: دخل رسول الله ﷺ على رجل=

ازداد عدد الناس حول بدني الملقى على الأرض شيئاً فشيئاً، وارتفع الصراخ من كل حدب وصوب، فبقيتُ كالحيران لا ادري ماذا أفعل وقد رأيتُ ملك الموت وأعوانه قد تهيئوا لمفارقتي، فناديتهم بأعلى صوتي:

ـ يا عزرائيل، يا ملائكة الرحمة، إلى أين تذهبون وتتركوني وحيداً في هذا العالم الغريب، فأنا لا أعلم إلى أين المقصد، وكيف سيكون المسير.

التفت ملك الموت نحوي وقال:

ـ يا عبد الله اتبع جنازتك حيث حملوها، وستلاقي من يرشدك الطريق.

قلتُ له:

ـ يا ملك الموت، ما هي العقبات التي أمامي، فاني أخاف الوقوع في الهاوية، وأرى الشياطين تحوم حولي.

ـ أمامك ضغطة القبر، إذ ستكون عليك شديدة وصعبة ومؤلمة لتنقى بها روحك مما علق بها حين وجودها في قالبك المادي، ولا بد من تطهيرها لتتمكن من عبور مراحل عالم البرزخ، وتنسجم معه.

قلت له وقد أصابني خوف من كلامه:

=من أصحابه وهو يجود بنفسه فقال: يا ملك الموت ارفق بصاحبي فانه مؤمن، فقال: ابشر يا محمد فاني بكل مؤمن رفيق، واعلم يا محمد أني اقبض روح ابن آدم فيجزع أهله، فأقوم في ناحية من دارهم فأقول: ما هذا الجزع؟ فوالله ما تعجلناه قبل اجله، وما كان لنا في قبض روحه من ذنب، فإن تحتسبوا وتصبروا تؤجروا، وان تجزعوا تُأثموا وتُؤزروا...).

ـ وهل يمكن النجاة من ضغطة القبر؟

ـ كان هذا ممكناً لك في الدنيا، أما الآن فلا، إذ إن روحك من أول خلقك هي جوهر وجودك وهي من عالم المجردات، أما بدنك الذي تراه الآن ملقى على الأرض كان من عالم الماديات، وكلما تعلقت روحك به أكثر كان تقيدها بعالم الماديات اكبر، يقابلها ابتعاد عن عالم المجردات والملكوت، وذلك يمنعها من الانسجام معه عند الانتقال إليه، ولهذا ترى كثيراً من أولياء الله المخلصين قد جردوا أرواحهم من أبدانهم وحرروها، فاتصلوا بالملكوت قبل حلول أجلهم، وتنعموا به قبل أن اقبض أرواحهم.

طأطأتُ رأسي وأوكلت أمري إلى الله ثم قلتُ إلى ملك الموت:

ـ وماذا بعد ضغطة القبر؟

ـ سيأتيك ملكان ويسألانك عن ربك ودينك ونبيك وإمامك وكتابك وقبلتك، فإن أجبتهما تنجو ويُفتح لك باب من أبواب الجنة.

قلت له متعجباً:

ـ إن هذه الأسئلة في غايةٍ من البساطة، وكل شخص يستطيع الإجابة عنها لسهولة حفظها.

ـ كلا، ليس كما تتصور، فهنا في عالم الملكوت تظهر الحقائق كما هي، فإن كنتَ قد حفظتها في الدنيا ولم تكن قد صدَّقت بها عن علم وفهم وبحث وتدقيق، لم ينفعك ذلك، إذ إن أصول العقائد لا يكفي حفظها فقط، ولا يمكن التقليد بها، ومن كان مقلداً فيها لم ينطق لسانه حين سؤال الملكين منه أبداً.

قال هذا وأراد الذهاب فترجيته بسؤال أخير فقال:



ـ لا بأس بذلك قل ما عندك.

قلتُ:

ـ كنا في الدنيا نخاف حتى من اسمك، ونتصور انك تأتي لتقبض الأرواح بقسوة شديدة وصورة موحشة، أما ما رأيته الآن خلاف ذلك.

ـ إن ما تقوله صحيح، بل أشدّ قسوة ووحشة مما كنتَ تتصوره، ولكن هذا حين وصول أجل الكافر والعاصي، إذ آتيه بهيأة موحشة ومرعبة، فيكون ذلك أول عذابه حين موته، وانزع روحه بسيخ من نار، فيصرخ ويستغيث ولا مغيث له[1].

أحسستُ بشيء من الخجل لكثرة السؤال منه وهو ملك موت كل الدنيا، وما أنا وما قدري حتى يستهلك كل هذا الوقت معي، لذا شكرته ثم فارقني، فأحسستُ بغربة ووحشة شديدة، وغرقت في تفكير عميق لم أفق منه إلا بعد أن رأيتُ الجنازة قد حملوها بعيداً عني فأسرعتُ للحاق بها...

كانت السيارة تسير بسرعة بالغة بعد أن وُضعت الجنازة فوقها، واستقلت عددا من الناس داخلها كان مؤمن أحدهم، وقد سُررتُ كثيراً عند رؤيته وهو مشغولاً بقراءة القرآن والدعاء حتى وصلنا المقصد، وهو مكتب للفحوصات الجنائية فحملوا الجنازة إلى إحدى الغرف الخاصة حيث تم أجراء الفحوصات اللازمة عليها من قبل أحد

(١) الكافي / ج٣ / ص٢٥٣: (عن أبي عبدالله ﷺ: أن أمير المؤمنين ﷺ اشتكى عينه، فعاده النبي ﷺ فإذا هو يصيح، فقال له النبي: اجزعا أم وجعا؟ فقال: يا رسول الله ما وجعت وجعا قط اشد منه، فقال: يا علي إن ملك الموت إذا نزل لقبض روح الكافر نزل معه سفود من نار فينزع روحه به...).



الأطباء، وقد اجتمع حوله عدد من معاونيه، أما أنا فكنت أحوم فوقهم واسمع كلامهم، وقد أصابتهم الحيرة فقلتُ في نفسي ليتهم كانوا يسمعون كلامي لأخبرهم بأن جمالاً هو الذي دفع بي من أعلى السقف الخامس، حينها لا يحتاج كل هذه الفحوصات والحيرة في الأمر، وعلى كل حال طال بقاؤنا حدود الساعتين في تلك الغرفة المغلقة بعدها أعطوا الأذن بحمل الجنازة لدفنها.

حملوها وأعلنوا أن مراسيم التشييع ستكون الساعة الخامسة بعد الظهر بعد أن اخبروا أقاربي بما حدث، واتفقوا معهم على موعد ومكان للتغسيل والتكفين والتشييع.

كنتُ أحس بعلاقة غريبة تشدني إلى جنازتي، وأينما كانوا يحملوها أسرع معهم للحاق بها، كما انه لن تغيب عن مخيلتي أنوار المعصومين والجنة التي تمثلت لي وقدح ماء الكوثر الذي تذوقته عند الاحتضار حتى نسيتُ ضغطة القبر التي تنتظرني، لذا كنتُ أنادي بمن يحمل جنازتي أن عجلوا بي إلى مثواي وغايتي[1].

انتهت مراحل التغسيل والتكفين على هذا البدن المسكين الذي كانوا يقلبونه يميناً ويساراً، ويلقون عليه الدلو تلو الآخر من الماء، بعدها طُوي بالكفن الأبيض والناس شهود على ذلك بين مدهوش

---

(١) مختصر بصائر الدرجات/ ص٩١: (عن أبي جعفر ﷺ قال: قال علي بن الحسين ﷺ: موت الفجأة تخفيف على المؤمن وأسف على الكافر، وان المؤمن ليعرف غاسله وحامله، فإذا كان له عند ربه خير ناشد حمله بتعجيله، وان كان غير ذلك ناشدهم أن يقصروا به...).



ومبهور، وبين من يستعجل الإنهاء ليلحق بعمله، ويغرق مرة أخرى في دنياه، وكأن الموت كُتب على غيره دونه!

وضعوا الجنازة مرة أخرى في التابوت وأرادوا حملها، وإذا بشخص يأتي مسرعاً ليخبر الحاضرين بأن الدفن أُجّل إلى غد لحصول مشكلة في شراء أرض القبر وتحديد مكانه، وهنا بدأ النزاع واشتد الخلاف فيما بينهم، وحاروا بماذا يجيبون الناس وقد اخبروهم بأن التشييع والدفن سيكون اليوم وليس غداً، حتى قال كبيرهم أن لا فائدة من الجدال وأمر بحمل الجنازة إلى مسجد المحلة لتبيت هذه الليلة فيه. حملوها وتبعتهم وحلّقتُ فوقهم وقد أصابني قلق واضطراب شديدين مما سيؤول إليه مصيري وكيف سأقضي هذه الليلة ومن سيكون مؤنسي، حتى وصلوا بي إلى المسجد فدخلوا فيه ووضعوا الجنازة في جانب منه، وبدءوا يأتون جمعاً وفرادى ليقرؤوا الفاتحة عليها، وكثيرٌ منهم يُتمتم بلسانه رياءً دون قلبه، فأشمئز منه إذ لا تنفعني فاتحته بشيء، وليته يفسح المجال لغيره فلعله يأتي من يعينني بنسمة أُنس بقراءته.

ازداد سواد الليل وبدأ الحاضرون يغادرون المسجد شيئاً فشيئاً، وكلما قام أحد تبعه جماعته وكأنه قد فُرّج عليهم، فيسرعون للحاق به مما يزيد وحشتي في عالمي الجديد، حتى خلا المسجد تماماً إلا من شخص اجبروه على البقاء فيه، لكن أي شخص انتخبوا، بل أي حيوان مخيف وقبيح تركوه معي وهو لا يعرف آية من القرآن أو كلمة دعاء، فلم يكن فقط غير مؤنس بل ازددتُ وحشة وخيفة منه.

اخذ صاحبي نوم عميق وارتفع صوت شخيره، وبدأتُ أحوم في المسجد من مكان إلى آخر حتى جلستُ في زاوية منه أحسستُ

باطمئنان وسكون أكثر فيها، وهو عين المكان الذي كنتُ أخلو فيه وحيداً لقراءة القرآن في عالمي الدنيوي. نظرتُ إلى جنازتي وإذا بوحوش مخيفة مرعبة قد اقتربت منها وأحاطت بها وتهيأت لافتراسها.

يا إلهي ماذا أفعل وليس لدي سلاح فأتجرأ به على الاقتراب منهم وإبعادهم، وكلما دنوتُ منهم توجهوا نحوي وألقوا عليّ نظرات مخيفة أكاد أذوب من هولها، وكلما وضعوا أنيابهم على جنازتي أحس بألم شديد لا يطاق وكأنهم يقطّعون روحي ويمزقونها وليس بدني الملقى في التابوت، فلا ادري ما هذه العلاقة بيني وبين بدني بعد انفصالي منه، ولم يكن هناك معين استعينُ به، ولا ناصر انتصر به وألوذ إليه، فبدأتُ اصرخ واستغيث بصوت عالٍ، وقلتُ في نفسي عجيب هذا الذي انتخبوه لمبيت المسجد ألا ينهض من صراخي!

ساعة مضت من العذاب وكأنها سنين، هنالك أطلّت إشراقة صديقي مؤمن وهو يدخل المسجد وبيده قرآنه الصغير، فتنفستُ الصعداء عند رؤيته، وتوجهت أنظار الوحوش نحوه، فتعجبتُ من عدم خوفه منهم وجلوسه جنب التابوت وقد أحاطوا به، لكن ما أن فتح قرآنه، وبدأ يتلو ما تيسر منه حتى لاذت الوحوش بالفرار من كل جانب، ولم يبقَ أحد منهم، حينها أردتُ شكر مؤمن لكن لم تكن لي طاقة الكلام معه، فألقيتُ بنفسي في مكاني الذي كنتُ جالساً فيه لعل الألم والخوف يغادرني.

زال الألم عني بتلاوة القرآن ورنين آياته، فقمتُ وجلستُ بجنب مؤمن وسلمتُ عليه وكلّمته مرة وناديته أخرى، لكن لا جواب، حينها قلتُ لنفسي يبدو انكِ لا تريدين القبول بأنكِ خرجتِ من دار الدنيا، وكل آدمي ما زال فيها لا يسمع كلامكِ، ولا يرد جوابكِ! حينها



تمنيتُ العودة للدنيا لا لشيء إلا لأشكر صديقي مؤمن وأمسح دموعه التي تنزل من عينيه وتجري على خديه، وأقول له أني ما زلتُ بخير على الرغم من غموض المسير وجهل المصير.

أشرقت شمس الصباح، وبدأ الناس يجتمعون في المسجد الواحد تلو الآخر، حتى حان موعد الرحيل، فحملوا النعش مسرعين بين بيوت المحلة سائرين ومنادين (لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله) وقد حلقتُ فوقهم أرى من ينادي ومن يبكي ومن يذكر الله ويستغفر، ورأيتُ ابني الصغير يبكي ويصرخ بين أحضان خالته، فاختلطت دموعه بدموعها وهما يسيران ليلحقا بمن تقدم عليهماحتى وصلوا المقبرة، فدخلوها واستقروا بجوار حفرة قد هيئوها بعد أن وضعوا النعش بجنبها.

كان خوفي عظيما وفكري مشغولا بظلمة القبر ووحشته وغربته ووحدته، وما هي إلا ساعة تمضي وكل هذا الجمع العظيم سيغادر المكان، ولا يبقى غيري أنا وبدني داخل هذه الحفرة الضيقة، وتحت هذا التراب الذي سيُصب فوق رأسي، ولا أدري ما يجري بعدها لا ادري...

اكتمل حفر القبر وتعديله فحملوا البدن مطوياً بكفنه، ترافقه أصواتهم بالصلاة على محمد وآله، ووضعوه في محله ومأواه الأخير، حينها بدأ الملّقن بالتلقين، وكلما نطق بكلمة أعدتها خلفه، وكلما نادى يا عبد الله، أجبته قائلاً نعم إني أسمع ما تقول[1]، حتى انتهى

---

(١) معالم الزلفى / ج٢ / ص٦٧: (عن أبي جعفر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لقنوا موتاكم لا اله إلا الله، فإنها آنس للمؤمن حين يموت وفي قبره).



من كلامه ونادى الحاضرين بالصلاة مرة أخرى على محمد وآله، وما أن اكملوا صلاتهم حتى بدأ اثنان منهم بإلقاء التراب على البدن المسكين، ولم يتركوه إلا بعد أن امتلأ ما فوقه، ونساوت الأرض معه ونثروا الزائد من ترابه هنا وهناك.

بدأ المشيعون بمغادرة المكان الواحد تلو الآخر جمعاً وفرادى وأنا أنظر إليهم واسمع كلامهم. ذهب الجميع ولم يبقَ غير صديقي مؤمن إذ قال لهم إنني أبقى معه ساعة أخرى، كي لا يستوحش سعيد في أول دخوله قبره، ولأعيد عليه تلقين الشهادتين مرة أخرى حتى لا يكلّ لسانه بنطقها، ولا يتردد في جوابها عند سؤال الملكين إياه.



الفصل الرابع

كتابٌ لا يَنسى



أحسستُ بشيء ما يجرني نحو بدني، فدخلتُ القبر معه ولم استوحش منه بالرغم من إحساسي بألم الفراق وضيق الآفاق، وذلك لعلمي بقرب مؤمن، وأنسي بقراءته للقرآن.

مضت ساعة على هذه الحالة حتى غادرني مؤمن وغادر النور معه، وبقيتُ وحيداً في منزلي، وازدادت ظلمة قبري، وعظم خوفي ووحشتي، وإذا بالنداء يأتي من فوق القبر وتحته وعن يمينه وشماله، فأطرق سمعي وشغل فكري وهو يقول: (أنا بيت الوحشة، أنا بيت الوحشة)[1].

أصابني هول شديد، ووضعتُ يدي على رأسي، وصرختُ بأعلى صوتي:

ـ من المنادي؟ ومن أين هذا الصوت الذي أرعبني؟

عاد الصوت مرة أخرى ولكن بشدة اكبر، وصدى أكثر، ثم أضاف:

---

(١) نهج السعادة / ج٤ / ص١١٤: (ورد في أحد كتب أمير المؤمنين علي عليه السلام: ... يا عباد الله ما بعد الموت لمن لم يُغفر له اشد من الموت: القبر، فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته. إن القبر يقول في كل يوم (أنا بيت الغربة أنا بيت التربة أنا بيت الوحشة أنا بيت الدود والهوام...).



ـ ألا تعرفني من أنا؟ أنا بيت الوحدة والغربة، أنا بيت الوحشة والدهشة، ألم تكن تحسب يوماً انك سوف تأتي وتنزل عندي، كُنتَ مشغولاً بالدنيا فنسيتني، وكنتَ تعمل وتجمع الأموال لبناء منزلٍ فيها ولم تفكر في منزلك بعد موتك.

كنتُ خائفا منبهراً من كلامه، التفتُ يميناً ويساراً لعلي اعرف مصدراً لذلك الصوت، ولكن دون جدوى، فصرختُ مرة أخرى:

ـ قل لي بالله عليك من أنت؟ وأين أنت حتى أجيبك؟

قال:

ـ أنا القبر الذي دُفن فيه بدنك.

قلتُ:

ـ عجباً وهل القبر الذي كلّه جماد يتكلم؟!

ـ نعم، ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[1]، ولا تتعجب فإن كل شيء في هذا العالم حي ينطق كما نطقتُ لك، ويشهد عليك بما فعلتَ، ولكن الذين بقوا في الدنيا لا يعلمون ذلك، فهم يستخدمون الجمادات ولا يعلمون أنها سوف تشهد عليهم، وترى بعضهم يصنعون السياط ووسائل التعذيب ليؤذوا بها المؤمنين وهم لا يعلمون أن نفس هذه السياط سوف تشهد عليهم وعلى ظلمهم.

سكتَ قليلاً ثم عاد ليقول:

انك سوف ترى العجائب والأهوال عندي أولها ضغطتي عليك.

---

(١) فصلت / ٢١: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.



قلتُ مع نفسي: بسم الله، هذا ما اخبرنا به الرسول والأئمة الأطهار ﷺ، فكم قرأتُ في دنياي عن ضغطة القبر وأنها شديدة تُخرج زيت البدن منه، وتهشّم العظام وتكسر الأضلاع و...

آه آه والويل لي، كيف سأتحملها، أم من ينقذني وينجيني منها؟ وبدوامة الأفكار هذه كاد يُغمى عليَّ لولا أملي بالنجاة، وتذكري مقامي في الجنة الذي رأيته عند الاحتضار، لذلك عزمتُ على سؤاله فقلتُ له:

ـ وهل هناك سبيل للنجاة من ضغطتك هذه؟

قال:

ـ الآن كلا، كان السبيل لديك في الدنيا فلماذا أهملته، ولم تعمل بما قرأته يوم ذاك.

سمعتُ ما قاله وتذكرتُ أني عملتُ بما قرأته في دنياي، فسألته متعجباً:

ـ لعلك نسيتها إذ إنني قد عملتُ بها، فهل ترغب بتذكيرك إياها، نعم كانت الأولى كفران النعم[1] وقد سعيتُ واجتهدتُ في شكر نعم الله ما استطعت، والثانية اجتناب النجاسات وقد اجتنبتها، والثالثة الغيبة والنميمة وقد تركتها، والرابعة سوء الخلق مع الأهل وقد كنتُ حسن الخلق مع زوجتي وطفلي فماذا تقول في ذلك؟

أجابني بصوته الخشن:

(١) هذه جملة من الأفعال التي تنجي من ضغطة القبر. (وقد أوردها المحدث الجليل الشيخ عباس القمّي في كتابه منازل الآخرة).

ـ صحيح ما تقول، ومن جعله الله شاهداً عليك لا يخطأ ولا ينسى، ولكن شُكر النعم الذي قلتَ انك أديته، إنما كان الكثير منه لقلقة لسان فقط، فعندما كنتَ تقول الحمد لله، لم تكن تستحضر في قلبك ذلك، ولم يختلط معه الخشوع والذل بمقابل المحمود عندما تحمده، أما مع إنسان آخر مثلك، فعندما يُقدّم لك خدمة صغيرة تشكره وفي قلبك إحساس بمنته عليك وكأنك تستحي منه، وقد تشعر أن شكرك إياه لا يعادل خدمته لك، فتنوي منحه هدية ما، أو تجازيه بخدمة أخرى. والآن قل لي هل كانت كل هذه الأحاسيس لديك عندما كنت تقول (الحمد لله)؟

تحيرتُ في إجابته، وماذا عساي أن أقول له، لذا التزمتُ الصمت ولم اجبه، فعاد مرة أخرى ليقول:

ـ ولا يكفي ما ذكرته، لأن شكر النعم لا يكون كاملاً إلا بأداء حقها العملي، فمن رزقه الله المال عليه التصدق ومساعدة الفقراء وأداء الحقوق الشرعية المترتبة عليها، ومن رزقه العافية فعليه صرف قدرته وعافية جوارحه في الله ومن أجل الله وفي خدمة الدين والناس، ومن رُزق الجاه والمنصب فعليه العدل بين الناس وأداء حقوقهم بما يتناسب مع منصبه ومنزلته...

التزمتُ الصمت مرة أخرى، فليس عندي شيء أُدافع به عن نفسي، وأصابني اليأس من النجاة منه، ولكن في هذه الأثناء تذكرتُ أنني قرأتُ ذات يوم في كتاب منازل الآخرة أذكاراً تخفف على الإنسان ضغطة القبر، وقد التزمتُ بها وداومتُ عليها فلعلها تشفع لي الآن، حينها رفعتُ رأسي قائلاً:



ـ ماذا تقول في الأذكار التي كنتُ أداوم عليها وهي مما يؤمنني منك ومن وحشتك وضغطتك، فأنني كنت اقرأ سورة النساء في كل يوم جمعة[1]، وأداوم على قراءة سورة الزخرف[2]و..

قاطعني في كلامي على الرغم من أن لدي ما أقوله أيضاً إذ قال:

ـ إن ملائكة ربي قد سجّلوا لك كل ذلك صغيره وكبيره، وأياً منها كان بإخلاص ونية صادقة لله، وأياً منها كان رياءً، وأياً منها كان لقلقة لسان، كما سُجّلت لك درجة كل منها، وبناءً على ذلك جاءني الأمر من العلي الأعلى، ولولا أعمالك وأذكارك تلك التي كانت خالصة لله، لكانت ضغطة القبر وعذابه اشد بكثير وكثير مما سوف تلاقيه.

تيقنتُ أن لا جدوى من النقاش معه، فأنه مأمور من الله تعالى لا أكثر، وإنما هي أعمالي وأذكاري سوف أُجازى بها وألاقيها، وما اصدق الإمام علي عليه السلام عندما يقول في الديوان المنسوب إليه:

يا من بدنياه اشتغل قد غره طول الأمل
الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

انقطع الصوت فلم يعد له اثر يُذكر، وبدأتُ اسمع بدلاً منه أصواتاً غريبة مخيفة، يرافقها إحساس بضغوط عظيمة مؤلمة على بدني الذي ما زالت روحي مرتبطة به، وكأن القبر قد كُبس عليّ من جميع جهاته

---

(١) مستدرك الوسائل/ ج ٦ / ص ١٠٣: عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: (من قرأ سورة النساء في كل جمعة، أومن من ضغطة القبر).

(٢) ثواب الأعمال ـ الشيخ الصدوق/ ص ١١٣: قال أبو جعفر عليه السلام: (من أدمن قراءة حم الزخرف آمنه الله في قبره من هوام الأرض وضغطة القبر حتى يقف بين يدي الله عز وجل...).

بمكابس زيتية. وفي ذلك الوقت سادت ظلمة شديدة، فصرختُ وما من مجيب حتى انقطع نفَسي، وبدأتُ اسمع أصوات تكسر عظامي، وزادت شدة آلامي بدرجة لا توصف، ولو جمعتُ كل آلامي في الدنيا لما عادلت جزءاً يسيراً مما يصيبني الآن...

انتهت ضغطة القبر وكأنها طالت سنينا وسنينا، فتركتني مكسّر الأضلاع، مهشم العظام، لا أستطيع الحركة والنهوض، اصرخ صراخ الأطفال من الألم، ومما زاد الأمرعُسراً أن وحوشاً سوداء مخيفة دخلت القبر واستعدّت للهجوم على بدني، وراحت تكشّر بأنيابها المرعبة، وتنظر إليّ بنظراتها الحاقدة، وتحت أقدامها ظهرت عقارب سوداء مخيفة، وفي جانب آخر انطوى ثعبان ضخم الهيئة مخيف المنظر كان يُخرج لسانه الملتهب مرة ويدخله أخرى، وكأنه يعطي تحذيراً باللدغ والافتراس، والذي يزيد المشهد وحشة أن جميعها كانت تصدر أصواتاً مخيفةً للغاية، وتخرج من أفواهها شرارات ملتهبة تنذر بافتراسٍ قريب الوقوع، حينها سالت دموعي أسفاً وحزناً على حالي وضعفي بين هذه الوحوش المفترسة والحيوانات المهولة.

أحسستُ أن الآفاق ضاقت بي وأزمتي بلغت ذروتها. هنالك انقطع أملي من كل شيء غير الله، فانطلق لساني مردداً: يا غياث المستغيثين، يا أنيس المستوحشين، يا أمان الخائفين **(يامفزعي عند كربتي ويا غوثي عند شدتي إليك فزعتُ وبك إستغثتُ وبك لذتُ لا الوذ بسواك ولا أطلب الفرج إلا منك)**[1]، ثم أعقبتُ استغاثتي هذه

---

(١) مقتطف من دعاء أبي حمزة الثمالي.

بالتوسل بأصحاب المنازل العظمى عند الله: **(يامحمد يا علي يا علي يا محمد اكفياني فإنكما كافيان وانصراني فإنكما ناصران...)** .

بدأت الوحوش تتقدم نحوي بهيئتها المخيفة، وراحت العقارب تقفز هنا وهناك وكأنها سعيدة بفريستها التي اقترب موعدها.

يا له من أمر عجيب!

كانت بكل خطوة تقترب فيها تنكشف ظلمة القبر أكثر فاكثر حتى انجلت، وإذا بكائنات لطيفة منيرة ذات صور جميلة تدخل القبر، وتقف أمام هذه الوحوش المتقدمة لتعلن الحرب معها، حينها عادت لي أنفاسي وبقيتُ انتظر ماذا سيحدث...

بدأ الصراع العنيف بين المجموعتين، وكم كان شديداً لدرجة امتلأ القبر من غبرته، واختفى الثعبان على أثره، وبقيت الوحوش والعقارب بين الفرّ والكر حتى خرجت هاربة، ولحقتها العقارب إلا واحداً قفز نحوي، وعلق بقدمي، فلسعها لسعة شديدة مؤلمة، وغرز إبرته فيها ولم يخرجها منها، فصرختُ صراخاً عظيماً من ألمها، واستنجدتُ بالكائنات المنيرة ولكن لا أحد يتجرأ على سحبها وإبعادها عني، فبقيتُ هكذا بين اللوعة والألم والصراخ والعويل...

اقترب مني أحدهم وكان أجملهم صورة وأكثرهم نورا وأعذبهم كلاماً، فراح يمسح على بدني بيده اللطيفة الشفافة، ويهوّن عليّ ما لقيته من ألم ووحشة، حينها بدأ الألم يغادرني ويزول شيئاً فشيئاً، وأحسستُ بقوة تمكنني من النهوض والحركة حتى زالت جميع آلامي إلا ألم العقرب الذي لم يزل عالقاً في قدمي.

شكرته كثيراً مع رفقائه وشكوتُ له ما لقيته فقال:



ـ إن كل ما رأيته وسوف تراه هو صور لمجسمات أعمالك السيئة وعقائدك الباطلة المنحرفة، وهي ستكون مؤذية مهلكة لا تتهاون عن جلب الشر إليك حتى تُلقيك في قعر جهنم، وما رأيته من وحوش وعقارب وثعبان إنما كان جزءاً بسيطاً منها، لكن بمقابل هذه ستكون هناك جبهة أعمالك الحسنة وعقائدك الحقة، وهاتان الجبهتان في صراع دائم في عوالم ما بعد الموت، وهكذا كانت في عالم الدنيا، إلا إن الفرق بينهما انك كنتَ قادراً على نصر كفّة على أخرى، أما في البرزخ وبعده فلا يمكن لك ذلك، ولا حول لك ولا قوة إلا برصيدك من الحسنات والطاعات وأعمال الخير التي ادّخرتها لنفسك في دار الدنيا.

إنني في عالم الدنيا لم اكن اصدق بدرجة اليقين ما اقرأه في بطون الكتب من تجسد الأعمال في عوالم ما بعد الموت، وكنتُ اعتبر ذلك غير قابل للتصور، إلا أن ما أشاهده الآن وألاقيه أثبت لي صحتها وصدقها، فقلتُ له:

ـ هل لك أن تخبرني عن أعمالي السيئة التي تجسّمت بهذا الشكل المرعب من الوحوش والعقارب والثعبان؟

قال:

ـ إن كل مؤمن لا يقضي حاجة أخيه المؤمن وهو قادر عليها، يسلط الله عليه في قبره ثعباناً يُعرف بالشجاع، ولأنك في مندوحة وبُعد عن مثل هذه الموارد لذلك كان ثعبانك ضعيفاً، وقد يظهر لك فيما بعد في المراحل القادمة من مسيرتك في عالم البرزخ[1]. أما العقرب

---

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) / ج١٦ / ص٣٥٨: (ضمن حديث لأبي عبدالله عليه السلام: يا=

الذي علق بقدمك ولم يزل يؤذيك، فهو دَين عليك لم تؤده إلى صاحبه.

قلتُ متعجباً:

ـ ولكني أديتُ كل الذي كان عليّ من أموال الناس، ولم يبق شيء في عنقي.

قال:

ـ قبل أحد عشر عاماً اقترضتَ من صديق لك في الجامعة اسمه احمد مبلغا قدره ٣٠٠ دينار، ولم تره مرة أخرى بسبب انتهاء الدراسة، كما انك لم تسجله في دفتر ديونك ولم تؤده له حتى الآن.

كنتُ أتلوى من الألم، وبين الحين والآخر يغرز العقرب إبرته في قدمي، فأصرخ صرخات عظيمة تقطع حديثي، لذلك وبعد انقطاع قليل عدتُ إلى الحديث فقلتُ له:

ـ بالله عليك اخبرني كيف السبيل للنجاة من هذا العقرب الخبيث؟

ـ إن العقرب سوف يبقى عالقاً حتى يؤدي عنك شخص ما دَينك في عالم الدنيا، أو يبرئك صديقك منه.

أصابني غم عظيم، وغمرني الحزن على نفسي، وأخذتني الحسرة على تلك التبعة المؤلمة، فليس هناك شخص يعلم بها وينقذني بأدائها عني، ولا أنا كتبتها في وصيتي ولا ...

وبينما أنا في تلك الدوامة من الفكر الذي اختلط به أنين الألم،

=إسماعيل من أتاه أخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له سلط الله عليه شجاعا ينهش إبهامه في قبره مغفورا له أو معذبا).

وإذا بصوت مرعب مهول يملأ القبر، فهو كصوت الرعد في السماء. نظرتُ إلى صاحبي الذي كنتُ أتحدث معه، فإذا به مبهوراً من ذلك واتخذ جانباً من القبر مع رفقائه ليراقبوا ما سيحدث، أما أنا فكنتُ أكثر اضطراباً عندما رأيتُ كائنين دخلا القبر بهيئة ذات ملامح عجيبة غريبة وهيبة عظيمة مخوفة توحي إلى عِظم شخصيتهما، فلم أرَ مثلهما مخلوقا قط في عالم الدنيا، كانت أبصارهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف[1].

بادرني أحدهما بالسؤال قائلاً:

ـ اجبنا من ربك؟

تذكرتُ ما قرأته سابقاً في بعض الكتب عن الملكين منكر ونكير، وأنهما يختصان بسؤال الميت عن عقائده، حينها سألتهما:

ـ هل أنتما منكر ونكير؟

قال الآخر:

ـ نعم، ولا بد لك من الإجابة عن أسئلتنا كي نعلم صحة عقائدك، وأنها نابعة من الأيمان القلبي بها، لا عن تقليد ولقلقة لسان. والآن أجب عن السؤال الأول دون تأخير، من ربك؟

كان سؤاله للمرة الثانية بغضب أكثر وصوت أعلى، حينها أسرعتُ بالإجابة فقلتُ:

---

(١) الكافي / ج٣ / ص٢٣٦: (عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يجيء الملكان منكر ونكير إلى الميت حين يدفن، أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف، يخطان الأرض بأنيابهما، ويطآن في شعورهما، فيسألان الميت من ربك، وما دينك...).

ـ ربي.. ربي..

يا إلهي إن لساني غير قادر على نطق ما أردتُ نطقه، بل نسيتُ ما أردت قوله ونويت الإجابة به، فأصبحتُ انظر إليهما تارة وإلى الكائنات المنيرة تارة أخرى لعل أحدهم يسعفني، وبدلاً من ذلك رأيتُ شخصا اسود اللون كالقير، قبيح الشكل، موحش المنظر، قد برزت أنيابه فزادته قباحة فوق قباحته، وبدت منه رائحة كريهة زادتني نفوراً منه. بدأ يقترب مني حتى استقر أمامي وقال:

ـ أراك كلّ لسانك عن النطق وتعثرتَ في الإجابة، ولكن لا بأس عليك فأنا سوف أنقذك من مأزقك، قل إن ربي هو أنتما الملكين، وكل شيء بيديكما، ألا ترى قوتهما وتسلطهما عليك، فلو شاء أحدهما أن يحرقك الآن لفعل. وعلى فرض أنني اكذب عليك كما تظن، ففي جميع الأحوال إن أجبتَ بما قلته لك، فسوف تنجو منهما لأن أي شخص تمجده وتمدحه فسوف تغمره نشوة الكبرياء والسلطة، وسوف يعفو عنك، بل قد يكرمك ويكافئك على تمجيدك إياه.

كنتُ متحيراً في أمري بين كلام هذا القبيح الأسود، وبين ما كنتُ أؤمن به من توحيد الله، فتساءلتُ مع نفسي لماذا لا يبرز هذا الأيمان بهيئة جواب للملكين، فهل أن توحيدي لله لم يكن خالصاً في الدنيا؟ ام انه كان سطحياً لم يتوغل إلى أعماق قلبي، ولم يُعجن مع روحي التي لم تفنَ حين موتي ولن تفنى حتى الأزل. إذن ضعف الإيمان والتوحيد تجسد بهذه الهيئة من التعثرات في الجواب، وبينما أنا في تلك الدوامة من الفكر وإذا بأحد الملكين يصرخ في وجهي:

ـ لماذا لم تُجب حتى الآن عن سؤالنا؟ ألم تعلم من ربك ومن كنتَ تعبد؟

وقبل أن ابدأ كلامي المتعثر من جديد سمعتُ أحد الكائنات النورانية ينادي:

ـ قل ربي الله، قل ربي الله الذي لا إله إلا هو.

بعدها نادت جميع الكائنات النورانية بصوت واحد منتظم:

ـ قل ربي الله، قل ربي الله الذي لا إله إلا هو.

وبعد أن سمعتُ كلامهم قلّ اضطرابي واطمئن قلبي وانطلق لساني، فقلتُ:

ـ ربي الله، ربي الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر.

تنحى القبيح جانباً وكأنه فشل في مهمته السيئة، وبقي ينظر لي بنظرات حقد وشر منتظراً فرصة أخرى يتدخل بها.

قال أحد الملكين:

ـ إن توحيدك لم يكن خالصاً لله بصورة كاملة. لقد كنتَ في بعض الأحيان تعلق الرزق أو النجاة من مصيبة وقعتَ فيها بأشخاص مخلوقين مثلك، كما إن بعض أعمالك كان يخالطها الرياء وحب الشهرة والسمعة، غافلا عن أن ذلك مخالف للتوحيد الخالص لله الذي بيده أسباب الكون ومسبباته، لذلك لم تتمكن من الإجابة إلا بعد مساعدة الولاية ورفقائها من الصلاة والصوم والزكاة والحج والعمرة والبر والإحسان، ولولاها لفشلتَ ولأحرقنا عليك القبر وجعلناه باباً إلى نار جهنم التي توعدكم الله بها.



نظرتُ إلى الكائنات النورانية وقلتُ بصوت متعجب مندهش:

- إذن أنتم..أنتم كما قال..

لم يجبني أحد منهم، وبدأ ينظر كل منهم إلى الآخر ثم قال أحدهم:

- إن منكرا يعرفنا ولا بد أن نكون كذلك.

التفتُ إلى الملكين بعد أن عرفتُ أيهما منكر وأيهما نكير فقلتُ:

- إذن الذي على يميني منكر والذي على يساري نكير.

قال منكر:

- بقيتْ أمامك أسئلة إن نجحتَ في الإجابة عنها نجوتَ، وإلا هلكتَ وبقيتَ في عذاب وبلاء إلى ما شاء الله. والآن اخبرنا من هو الرسول الذي أرسله الله إليكم وبأي دين جاء فأطعتموه(1)؟

كان لدي اليقين الكامل بنبوة الرسول محمد ﷺ وبرسالته، فقد طالعتُ الكثير من الكتب التي كانت تثبت ذلك، وتعطي الأدلة الشافية على صحة رسالته التي جاء بها، لذا لم تكن هناك صعوبة في الإجابة إذ قلتُ وأنا أُظهر الاتزان والاطمئنان في كلامي:

- إن نبينا هو محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) آمنتُ به بالدليل دون أن أراه، واتبعتُ رسالته دون أن أكون معاصراً له، واتبعتُ خليفته من بعده علي ابن أبي طالب الذي كان حجة الله على

---

(1) يُستخلص من الروايات أن سؤال الملكين يكون حول عموم عقائد الإنسان ومدى توحيده وإيمانه بالله ورسالة رسوله والكتاب الذي أُنزل معه، وأما الجواب فلا يكون إلا بما يطابق واقع ذلك الإيمان دون أن يكون هناك مجال للكذب والخداع.

خلقه، ثم تلاه في الإمامة أحد عشر كوكباً معصومون من الزلل، أُمرنا بطاعتهم، فكانوا هم سفينة للنجاة وسبيلاً للهداية، وإذا شئتَ ذكرتُ لك أسماءهم واحداً تلو الآخر.

كنتُ خلال حديثي مع الملكين انظر لمن حولي فرأيتُ القبيح يشتعل غضباً ويمتلئ غيضا لدرجة انه لم يحتمل البقاء، فترك موضعه واختفى فلا اثر له!

أما منكر ونكير فبعد انتهاء كلامي سمعتهما يتحدثان معاً بصوت خافت لم أفهمه، بعدها توجه نكير لي بالكلام وقال:

ـ انك سبقتَ سؤالنا حول الإمامة بحديثك فلا نسألك عنها، ولكن قل لي بأي دين جاء نبيكم وأي كتاب؟ وأي قبلة أوصاكم بالتوجه إليها؟

كنتُ في الدنيا احب قراءة القرآن كثيراً وأءنس به، إذ كنتُ اشعر بأن الله تعالى هو الذي يخاطبني، وكلما تدبرتُ في آياته ازددتُ يقيناً، وبدَت لي معجزات عظيمة فيه، وظهرت لي حقيقة الدين الذي اعتنقته وهو الإسلام، ولشدة حبي لتلاوة القرآن كنتُ احمله معي إلى موقع عملي، فأتلو ما تيسر منه في وقت فراغي، وبسبب هذه العلاقة بيني وبينه تمكنتُ من النطق بطمأنينة فقلتُ:

ـ نبينا الكريم جاء بدين الإسلام وهو اكمل الأديان وخاتمها، وكتابنا القرآن وهو ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[1].

(١) هود / ١

وقبلتنا الكعبة فهي محور توجه المسلمين إلى الله الذي أمرنا بها بقوله ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[1].

كنتُ سعيداً جداً لتمكني من الإجابة، وكان بودي الاسترسال بالحديث أكثر لولا أني شعرتُ بتجاوزه حدود السؤال، لذلك توقفتُ عن الكلام وانتظرتُ أن يبادراني بالسؤال مرة أخرى.

قال منكر وقد بدت عليه ملامح التبسم الممزوج بالوقار والهيبة:

ـ إن أجوبتك كانت مصداقا للآية الكريمة ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[2] وهي إنما كانت حصيلة جهودك في البحث عن الحقيقة وتحصيل العقائد الحقة خلال سني عمرك الأخيرة، كما إن تلقين صديقك مؤمن حين نزول بدنك في القبر كان له الأثر في ذلك، إضافة إلى مساعدة بعض الأعمال والأذكار التي أديتها في الدنيا، من قبيل صيام أيام شهر شعبان، وإحياء ليلة الثالث والعشرين من رمضان وصلاة مائة ركعة فيها[3].

انتهى كلامه فسألته قائلاً:

ـ يبدو أن لديكما العلم والاطلاع بدرجة الأيمان في قلبي، وصدقه من كذبه، وما هي العقائد القوية والضعيفة لدي، إذن فما وجه تساؤلاتكما هذه؟

---

(١) البقرة / ١٤٤

(٢) إبراهيم / ٢٧

(٣) منازل الآخرة / العقبة الثالثة: (وروى الشيخ الصدوق في ثواب صيام شهر شعبان أن من صام تسعة أيام منه عطف عليه منكر ونكير عندما يسألانه. وروي عن الإمام الباقر ﷺ ثواب كثير لمن أحيى ليلة الثالث والعشرين من رمضان وصلى فيها مائة ركعة... من جملة ذلك الثواب أن الله تعالى يدفع عنه هول منكر ونكير...).

أجاب قائلاً:

- إن أسئلتنا كانت لغرض إظهار مستوى عقائدك إليك لتطّلع عليها، حينها سوف لا تعترض على أي أثر نرتبه طبقاً لذلك، وهدف آخر منها هو أن هذه الأسئلة والأجوبة تكون سروراً للمؤمن إن أجاب عنها، وعذابا للكافر إن تعثر فيها، كالطالب الذي يفرح عندما يجيب عن أسئلة معلمه، وبعكسه الكسول الذي يخجل ويحزن لتعثره فيها، وما ذلك إلا ضرب من ضروب الثواب والجزاء.

لم يترك الملك مجالا لسؤال آخر فبادر قائلاً:

- إن روحك سوف تترك بدنك الدنيوي المادي بصورة كاملة، وتستقر في قالب مثالي لطيف يشابه من حيث الصورة والشكل قالبك الأول[1].

قال ذلك واختفى مع صاحبه فجأة، فالتفتُ يميناً ويساراً ابحث عنهما ولكن لا اثر لهما قط.

وكما قال الملك واخبر، فقد أحسستُ بعد اختفائه بتفكك كل القيود التي كانت تربطني ببدني المادي، وكأن حبالاً كانت تجرني نحوه قد تقطعت، وقيوداً قد تمزقت، فأصبحتُ خفيفاً لطيفاً، ولم أشعر بالتحاقي بالقالب المثالي إلا بعد استقراري فيه لخفته ولطافته.

زالت همومي وآلامي بنجاتي من أسئلة منكر ونكير إلا همّ العقرب وألمه، فهو لا يرتضي المفارقة ولا يقبل المساومة، لذا عاد أنيني

(١) تفسير الصافي / ج١ / ص٢٠٣: (... عن الصادق ﷺ انه قال:... فإذا قبضه الله عز وجل صير تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ويشربون فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا).

وصراخي منه، وبينما أنا كذلك لاحظتُ اتساعا في القبر وانفتاح باب منه نحو حديقة واسعة كبيرة، حينها قال لي أحد الكائنات النورانية وهو يجرّني نحوه:

ـ لنخرج إلى الحديقة التي فتح القبر بابه إليها.

تحركنا جميعاً واتجهنا نحو الباب، فخرجنا منه وجلسنا وسط خضرة واسعة، كانت سعته بمد البصر، وجماله ملفت للنظر، قد وُزّعت فيه الورود بشكل منسق ومنتظم، كما ان ألوانها تتغير بين الحين والآخر لتعطي جمالاً باهراً ورائحة خلابة.

كانت الكائنات النورانية على شكل ست صور، بينهن صورة احسنهن وجهاً، وابهاهن هيأة، وأطيبهن ريحاً، قد استقرت فوق رأسي، أما الأخريات فكانت واحدة عن يميني، والثانية عن يساري، والثالثة بين يديّ، والرابعة خلفي، والخامسة عند رجلي، فقالت أحسنهن صورة:

ـ من انتم جزاكم الله خيراً؟

ـ قالت التي على يميني: أنا الصلاة.

وقالت التي على يساري: أنا الزكاة.

وقالت التي بين يديّ: أنا الصيام.

وقالت التي خلفي: أنا الحج والعمرة.

وقالت التي عند رجلي: أنا البر والإحسان.

ثم قالت الصور الخمس جميعاً وبصوت واحد: ومن أنتِ، فأنتِ احسننا وجهاً، وأطيبنا ريحاً، وأبهانا هيأةً؟

قالت: أنا الولاية لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين[1].

كنتُ أشاهد واسمع ما يجري من حديث بين هذه الكائنات النورانية فسألتُهن مستغرباً:

ـ ألم تتعارفنَ قبل هذا الوقت؟

قالت الولاية: كلا لم تترك أحداث القبر مجالاً لذلك.

حقاً كان اجتماع أُنس مع هذه الكائنات، لكنه انقضى سريعاً لحلاوته إذ استأذنوا بمغادرة المكان بعد سويعات من جلوسنا، فأجبتهم مستغرباً:

ـ أحقا ما تقولون؟! وهل سأبقى وحيداً غريباً هنا؟

أجاب أحدهم:

إن لكل منا طاقة محدودة في الدفاع عنك ومرافقتك، وذلك يتبع مدى أدائك لنا في الدنيا وإخلاصك لله حين الأداء، لذلك سوف يغادرك بعضنا ويبقى الآخر، وبعد سويعات أخرى يغادرونك أيضا، وسيكون منوالنا هكذا خلال مسيرتك في عالم البرزخ، لكننا سوف نلتقي بين مدة وأخرى، ولابد لك من قطع أشواط وأشواط ومراحل قد تكون صعبة وموحشة في بعضها، وقد تكون ممزوجة بنعيم أعمالك حتى تستقر لك درجة ومرتبة تكون عليها إلى يوم الحشر والحساب الأكبر.

---

(١) بحار الأنوار / ج٦ / ص٢٣٤: (عن الإمام الباقر ﷺ قال: إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستة صور، فيهن صورة أحسنهن وجها وأبهاهن هيئة وأطيبهن ريحا و...).

ـ وهل سيكون بإمكاني الرقي خلال مدة البرزخ؟

ـ إن ذلك مرتبط بأعمالك أيضا.

ـ وكيف؟

ـ قد يكون رقيك بسبب صدقة جارية لم تزل آثارها ومنفعتها مستمرة على أهل الدنيا، فكل يوم يمضي عليك ترقى درجة تتناسب معها، ومنها الولد الصالح الذي ترعرع في أحضانك وقد بلغ رشده[1] فخدم الإسلام وأهله، أو قد يكون رقيك بسبب دعاء خير يأتيك من أهل الدنيا، أو من صلاة أو صيام أوعمل خير يُهدى ثوابه إليك.

ساد صمت قليل ثم عاد ليقول:

ـ والآن لابد من الفراق وسيبقى معك الصلاة والصيام إلى وقت آخر.

ذهبوا وعيني تلاحقهم، ثم بعد سويعات غادرني الصلاة والصيام فبقيتُ وحيداً فريداً. ساد ظلام الليل لكني مازلتُ أرى، فهناك أنوار ثابتة وأخرى تشع بين الحين والآخر، وما زالت رائحة الورود العطرة تخالط النسيم النقي الذي كان يهبّ برفق وهدوء، لكني مع كل هذا لم أكن أحس بلذة ذلك ولا بالرغبة فيه بسبب ألم العقرب الذي لم يزل عالقاً في قدمي، وبين ساعة وأخرى تتطاير شرارات عينيه المخيفة

---

(١) الكافي / ج٧ / ص٥٥: (عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال، صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته، وسنة هُدى سنّها فهي يُعمل بها بعد موته، أو ولد صالح يدعو له).

نحوي، لذا تنحيتُ جانباً وجلستُ حزيناً مستوحشاً على سرير دلني عليه نوره المشع وبريقه الجذاب.

قلتُ مع نفسي أهذه الجنة التي طالما تأملتها وسعيتُ لها، وكنتُ أحلم بنعيمها؟! لكني لا أرى فيها الآن غير الغربة والوحشة، وفي هذه الأثناء سمعتُ نداءً من شجرة قريبة فتوجهتُ نحوها، وأطرقتُ لكلامها، فإذا بها تقول:

- إن كل ما تراه هنا هو تجسّم لأعمالك في الدنيا[1]، وأنتَ بحاجة إلى نقاء أكثر كي ترقى إلى وضع افضل مما أنت فيه. أجبتها متسائلاً:

- حتى أنتِ وهذا السرير الذي جلستُ عليه هو تجسّم لأعمالي؟

- نعم.

- بالله عليكِ اخبريني أي عمل تجسم بصورتك هذه؟

- أما أنا فقد خُلقتُ منذ وقت طويل على اثر ذكر تسبيح وتهليل كان بتدبر وخلوص لله، وكذلك هذه الأشجار التي تراها والمتباينة في الشكل والجمال، وإنما هذا التباين بينها يتبع التفاوت في درجة أذكارك.

- لم تخبريني عن السرير الذي كنتُ جالسا عليه.

قالت:

(١) آل عمران / ٣٠: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ...﴾.

ـ أما السرير فهو تجسم لإيوانك مسافر ذات يوم أدخلته ساعة في بيتك فوقيته حر الظهيرة.

أصابتني الحسرة والندم على أوقات عمري التي انقضت، ولم أملأها بذكر الله، لكن الحسرة لا تنفع والندم لايجدي وعليَّ التسليم والقبول.

تمعّنتُ جيداً في ثمر هذه الشجرة، فرأيته أشبه بالتفاح، لكنه بألوان متعددة، فنويتُ الطلب من بعضها ولكن قبل أن أتفوه بكلمة واحدة رأيتُ الثمر يتساقط أمامي واحدة تلو الأخرى وبعدد ألوانها، فتحيرتُ بأيها ابدأ.

تجولتُ في أنحاء الحديقة فرأيتُ الطيور المضيئة بألوانها الزاهية وتغاريدها المطربة تطير بين الأشجار ومن موضع إلى آخر، ورأيتُ الأنهار تشقّ الحديقة بشكل هندسي رائع لتجري وتشكل شلالات جميلة امتزجت أصواتها فتكونت نغمة موسيقية عذبة. لم تكن الأنهار من نوع واحد، فكان الأول نهر ماء عذب، والآخر لبن ناصع البياض مصفّى، والآخر تسمى مادته خمراً لكنه بأي طعم لذيذ ورائحة عطرة كان، انه لا يشبه خمر الدنيا سوى اسمه وبعض من صفاته الحسنة التي قال عنها القرآن الكريم ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ...﴾[1] وقد أُضيفت لها صفات ملكوتية خلابة.

بينما كنتُ أتجول وانظر يميناً ويساراً مبهوراً مما أراه، وإذا بشخص في غاية الجمال والبياض يتقدم نحوي ويسلّم عليّ فأجبته:

---

(١) البقرة / ٢١٩

ـ وعليك السلام.

أحسستُ براحة كبيرة عند رؤيته، وبدأتُ الحديث معه وعرضتُ أسئلتي عليه، فقلتُ له:

ـ هل يمكن أن تخبرني من أنتَ وماذا تفعل هنا؟

قال:

ـ أنا خلاصة أعمالك الحسنة، قد كنتُ معك في الدنيا، وسأكون معك على طول مسيرتك في عالم البرزخ.

ـ لكني لم أركَ قبل هذا الوقت!

ـ ان الإنسان لا يرى في الدنيا سوى ظاهر عمله، غافل عن باطنه وحقيقته الملكوتية التي هي مرافقة له لحظة الأداء ولا تظهر له إلا بعد كشف الغطاء عنه.

ـ وماذا بعد البرزخ؟

ـ وبعد البرزخ سيكون لي دور يتناسب مع عظمة الحساب والأهوال يوم ذاك.

ـ إذن قد فزتُ ونجوتُ.

ـ كلا، إن أمامك الكثير من الأهوال والمصائب وأنواع من العذاب سوف يُصَب عليك، وكله آثار أعمالك السيئة، وكل عذاب يُصيبك في البرزخ سوف يطهّرك أكثر واكثر حتى تنقى.

ـ وماذا سيكون دورك في كل ذلك، وأين رفقتك لي في تلك الأهوال والمصائب؟



ـ إن لي حداً محدوداً في مرافقتك والسعي لنجاتك، إذ أن لديك ملكات فاسدة ومعاصي ارتكبتها ولم تتب منها ولا بد لك من أن تذوق عذابها، وفي ذلك كله سأكون بعيداً عنك حتى تطهر منها.

ـ وماذا عن العقرب الذي في قدمي، وكيف الخلاص منه؟

ـ إن هذا أمر متعلق بالشخص الذي يطلبك مالاً ولم تؤده إليه، وسوف لا يزول عنك حتى تؤديه دينه أو يبرئك منه.

ـ وماذا بوسعك أن تساعدني في هذا الأمر؟

ـ سوف أبذل أقصى جهدي لمساعدتك ونجاتك منه إنشاء الله. والآن لابد من مفارقتك على أمل اللقاء مرة أخرى.

تركني وحيداً وذهب. انطفأت كل المصابيح، وذهب بريق جميع الأشياء، وساد الظلام، فلم اعد أرَ شيئاً، ولا اسمع صوتاً، وغمرتني وحشة شديدة، وتحيرتُ إلى أي جهة أقصد، وإلى أي طرف أخطو، هل أبقى في موضعي أم ماذا أفعل، حقيقة لقد كان الحال مَهولا والمستقبل مجهولا، ولعل هذا مقدمة للعذاب...

انجلى الليل وأقبل عليّ كائنان عملاقان أسودان كسواد القير، لا يُرى منهما شي غير شرارات تخرج من عينيهما وحلقيهما، وشرارات أخرى تخرج من عصاتيهما الملتهبتين. دَنَيا مني حتى وصلاني وأنا في حالة خوف شديد، فمسكني أحدهما من راسي والآخر من قدمي وحملا بي سريعاً كالبرق إلى وادٍ كبير عميق يصعد منه دخان اسود عظيم. لقد كان الوادي عظيماً لدرجة أن له سوراً ضخماً لم أتمكن من تمييز حد لنهايته لا من أعلى ولا من يمين أو يسار. اقتربنا منه فانفتح

لنا بابه الذي لو اجتمعت آلاف مؤلفة من البشر لِفتحه ما تمكنوا منه. دخلنا وإذا بأصوات صراخ وعويل لنساء ورجال، وغمرت مشامي رائحة كريهة نتنة فقلتُ للمأمورين معي:

ـ ما هذا المكان الذي جلبتماني إليه، لعلكما اشتبهتما في شخصي.

ـ قال أحدهما:

ـ نحن ملائكة الغضب لا نشتبه في شخص قط، وفوقنا رقيب نأخذ منه الأمر، ورقيبنا عليه رقيب حتى يصل الأمر إلى الجليل الأعلى، ألم تقرأ في القران الكريم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1]؟

ـ أما الآخر فقال:

ـ وهذا وادي خُصص لعذاب العاصين، ولا بد لك من قضاء أنواع العذاب فيه حتى تنقى من ذنوبك.

قال كلامه وضربني بعصاه على رأسي فأشتعل ناراً، وصرختُ صرخة عظيمة، وضربني الآخر على بطني فالتهبت هي الأخرى.

ذهبا عني وبقيتُ أتلوى وأحشائي تحترق حتى بدأتُ اسمع صوت توغل النار فيها.

بأي حال سيئة كنتُ، وأي آلام تحملتُ، بل أي صراخ صرختُ، ناديتُ وما من مجيب، واستغثتُ وما من مغيث. لقد كان إحساسي

(١) التحريم / ٦

بحرارة النار إحساس مَن حضر فيها فهو داخلها لا من اخبروه عنها فهو يتخيلها، وشتان بين الاثنين.

بقيتُ بهذه الحالة ساعات شغلني ألمي فيها عمّا حولي، فلما هدأت النار وعاد جلدي كما كان نظرتُ يميناً وشمالاً فرأيتُ وادياً ليس له حدود قد انتشر فيه آلاف من ملائكة الغضب بأشكال مختلفة مرعبة يحملون سياطاً مختلفة، منها الغليظ ومنها النحيف، وبعضها من نار، وبعضها من مواد أخرى أجهلها، وهناك مجاميع أخرى تحمل مقامع من حديد مُحمر.

قَدِم عليّ ملكان ظهرا فجأة فلا اعلم من أي جانب أتيا. اقتربا مني وحملاني إلى غرفة مليئة بصفوف الملائكة الذين اصطفوا بشكل مرتب ومنتظم، وهم ينظرون إلى ملك عظيم الخلقة قد تصدّرهم وتقدم عليهم، ويبدو انه زعيمهم. ألقياني أمامه وتحدثا معه بحديث لم افهمه وخرجا فبقيت انظر إليه كالذليل بين يديه، ارتجف خوفاً منه.

أوماإلى ملكين آخرَين فأتيا سريعاً وحملاني إلى غرفة أخرى، إذ جاءنا فيها ملك يحمل لوحاً علقه في عنقي وقال:

ـ إن هذا اللوح يحوي أعمالك السيئة صغيرها وكبيرها سوى ما تبت منه، مع توضيح جزاء كل منها من العذاب ونوعه ودرجته ومدته، كما يحوي صفاتك وملكاتك السيئة التي لم تزل باقية بسبب عدم اقتلاعها من جذورها في الدنيا.

أجبته قائلاً:

ـ وهل يمكن لي معرفتها؟

ـ نعم يمكن لك ذلك.

حملني إلى غرفة أخرى، ودخلنا فيها فرأيتُ ملكاً قد وضع أمامه لوحاً عظيماً، فلما رآني قال للمأمور معي:

ـ ما اسمه وما رمزه؟

ذكر المأمور اسمي الكامل ورقم طويل تتخلله أحرف وكلمات لم افهمها، بعدها خاطبني الملك قائلاً:

ـ اجلس هنا.

أشار إلى كرسي كان في الغرفة فجلستُ عليه وقال:

ـ هل ترى هذا الكتاب[1]؟

ـ نعم أراه، ولكنه ليس بكتاب كما اعرفه!

ـ ليس بالضرورة أن يكون كتاب البرزخ بنفس صورته في عالم الدنيا، بل يكفي أن يؤدي وظيفة مشابهة لما كان يؤديها، فيُطلق عليه هذا الاسم.

توقف قليلا ثم استأنف كلامه فقال:

ـ إن لكل إنسان يدخل هذا الوادي مقداراً معلوماً من العذاب وفترة تتناقص مع كل لحظة تمضي عليه، وهذه المدة لا تزيد ولا تنقص إلا بإذن الله، كما إن ذلك مرتبط بما تركته في دنياك من صدقة جارية أو اعمال سيئة لم يزل أثرها في الدنيا قائماً.

(١) الكهف / ٤٩: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

ـ قل لي بالله عليك كم سأبقى أسيرا عندكم في هذا الوادي المرعب؟

نظر إلى الكتاب وتمعن فيه ثم قال:

ـ إننا مأمورون طبق هذا الكتاب بحبسك مدة إحدى وخمسين سنة وثمانية أيام و..

لم يكمل الملك حديثه بعد أن التفت نحوي لأنه رآني قد أُغشي عليّ، ولولا تماسك الكرسي لسقطتُ منه.

أفقتُ بسوطٍ من أحد الملائكة اللذين أحاطوا بي، حينها قلتُ له بصوت ضعيف متقطع ولهجة آيس معترض:

ـ بأي ذنب كل هذه المدة؟ إنني تبتُ إلى الله توبة خالصة قبل خمس سنين، وسعيتُ جاهداً في طاعة الله ورعاية حقوق الناس و..

قاطعني الملك وقال:

ـ صحيح ما تقول، ولولا توبتك هذه لكان لا بد لك من أللبث هنا آلاف السنين، بل وقد يمتد عذابك إلى يوم الحشر الأكبر، ولكن بسبب توبتك الخالصة سُجلت لك هذه المدة القصيرة جداً.

ـ إحدى وخمسون سنة تقول عنها مدة قصيرة!

ـ نعم هي قصيرة جداً نسبة إلى فترات غيرك، ولولا علمي بدرجة إيمانك وتقواك ما أجبتك على أسئلتك، ولا أظهرتُ لك هذا الاحترام. وبسبب ذلك الأيمان ستكون درجة عذابك قليلة لو قارنتها بغيرك.

ـ وبماذا سوف تعذبونني؟



نظر مرة أخرى إلى الكتاب وقال:

ـ نحن مأمورون طبق هذا الكتاب بإدخالك في مئة وسبعة وثلاثين نوعا من العذاب، وها أنا ذا أشاهد فيه صفات سيئة لم تزل فيك وإن كانت بدرجة ضعيفة، من قبيل التكبر والعجب والرياء وصفات مختلفة أخرى.

توقف قليلاً ثم استمر في حديثه فقال:

ـ كان عليك مراقبة نفسك في الدنيا ومحاسبتها قبل أن تُحاسب الآن، كما انك كنت تستهين بذنوبك الصغيرة ولم تتب منها، وكان يصيبك شي من العجب في طاعتك، ولديك أعمال حسنة أديتها لله لكن خالطها الرياء دون أن تشعر به.

توقف مرة أخرى وتمعن في الكتاب وقال:

ـ وأرى في أعمالك أيضاً ظلمك لولدك خمساً وأربعين مرة، ولزوجتك سبعاً وخمسين مرة، وإسرافاً في نعم الله أربعا وتسعين مرة، وأكلك مال حرام خمساً وستين مرة و..

قاطعته معترضاً:

ـ عن أي مال حرام تقول؟ إني سعيتُ جاهداً على عدم أخذ دينار واحد حرام، فمن أين أتيتَ بذلك؟ إنني أرى الخطأ في كتابكم هذا.

أجابني بهدوء رغم جرأتي على اتهامهم بالخطأ في كتابهم فقال:

ـ إنك كنت تعمل مهندساً، وتتقاضى راتبا شهريا مقابل ثمان ساعات عمل يومياً، ولديك خمس وستون حالة انشغلتَ فيها بأمور

شخصية أثناء وقت عملك وبدون رخصة من صاحب العمل، وقد أثر ذلك على إنتاجية الشركة وان كان بشكل غير ملحوظ.

توقف قليلاً ثم قال:

ـ لا أرى من الضروري ذكر تفاصيل أكثر، فلا بد من قضاء هذه المدة بأي حال كان. ولكن لعله يصل إليك شي من أهل الدنيا يخفف عنك العذاب، وينقص من مدة مكوثك، أو لعل لديك من الأعمال الحسنة ما تسمح لك بنيل شفاعة الشافعين.

سلمتُ أمري إلى الله طوعا أو كرها، وقلتُ لهم احملوني إلى حيث يشاء ربي...

الفصل الخامس

نَقاءٌ في جهنم



ليتني عرفتُ قدري في الدنيا قبل أن يعرّفونه لي الآن تحت أقدام أهل جهنم. ألقوا بي وأنا مكتّف الأيدي والأرجل على أرضٍ محمرة مسودة ملتهبة، كلما لامسها جزء من بدني دفعتُ به ليتكئ على جزء آخر، فاصبحتُ متقلباً ممدوداً أتحول من مكان إلى آخر تحت أقدام سكان جهنم الذين كانوا يقفزون من شدة آلامهم، والنار مشتعلة فيهم، فكأنهم قطع من نار متحركة مضطربة، والملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم بسياط غليظة.

آه ثم آه، ألمي لا يوصف، وعذابي (رغم قلة درجته على قول الملك) لو قُسّم على أهل الدنيا جميعاً ما تحملوه. لقد كانت حرارة النار تدخل إلى أعماق قلبي فتحرقه قبل بدني[1]، وأيّ نار! أظن أن حرارتها لو مسّت جبال الأرض لانصهرت، ولو سقطت شرارة منها على بحار الأرض لتبخرت.

كنتُ أسمع في الدنيا وأقرأ عن نار الآخرة وأتصورها بما يتناسب

---

(١) تختلف نار الآخرة عن سائر نيران الدنيا بأنها تحرق من الداخل وأول إقتداحها في قلب الإنسان، وقد ذُكر هذا المعنى في سورة الهمزة﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾.



مع تخيلاتي المحدودة في ذلك الوقت، أما الآن فإن روحي بعينها تذوق العذاب وهي حاضرة فيه لا خارجة عنه، وشتان بين الاثنين.

أصابني عطش شديد، لذا كنتُ حين تقلبي انظر هنا وهناك بحثاً عن الماء، فرأيتُ أحد ملائكة الغضب يحمل إناءً اسود يتصاعد منه بخار، ويُسمع منه صوت فوران ما بداخله، أدناه مني فانشوى وجهي لشدة غليانه، وكنتُ متردداً بين قبوله وردّه، لكن يبدو أن لا خيار لي في ذلك، فقد أراقه في فمي دون أن ينتظر، وليته لم يرقه، لقد كان حميماً وأي حميم، قطّع أمعائي لشدة غليانه[1]، فازددتُ ألما وعطشاً فوق ألمي وعطشي، وندمتُ حتى على نيتي في طلب الماء وشربه.

قال الملك وقد ضربني بسوطه مستهزئاً:

ـ كيف كان طعم الماء؟

لم اجبه فقال:

ـ إنـه مـاء ﴿كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[2]، وهناك نوع آخر من الماء هل تريده؟

ـ أجبته بصوت ضعيف وشفاه يابسة:

ـ نعم.

تناول إناءً آخر وأراقه في فمي فإذا به أسوء من الأول، لذا قذفته خارجاً بعد أن ترك في حلقي مرارة لا تُطاق، فقلتُ له:

---

(١) محمد / ١٥: ﴿...وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾.

(٢) الكهف / ٢٩: ...﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

ـ أتقول عن هذا انه ماء؟!

قال:

ـ انه ماء صديد، يخرج مع الدم الذي يسيل من اثر جروح أهل جهنم[1].

أحسستُ بجوع شديد حتى إنني لم أعد أقوى على الحركة، بل حتى على التقلب يميناً وشمالاً. رفعتُ رأسي قليلاً بحثاً عن الطعام فرأيتُ شخصاً يصرخ صراخ المجنون بعد أن دخلت أفعى عظيمة في فمه ثم خرجت من دبره، وبدأت تلدغ في وجهه وبدنه والنار ملتهبة تحت قدميه.

نحّيتُ بصري عنه لبشاعة منظره، وإذا بسوط أحد الملائكة يهزّني، رفعتُ رأسي نحوه فقال:

ـ هل تريد طعاماً.

أجبته بصوت خافت متقطع:

ـ نعم.

لم يمكث طويلاً حتى أتى بإناء ممتلئ، قرّبه مني فنظرتُ لما فيه وإذا به طعام على هيأة نبات ذي أشواك حادة ورائحة نتنة كريهة. فتح السلاسل من يدَيّ وأشار لي بتناوله. أخذتُ الإناء وتناولتُ ما فيه، وليتني لم أتناوله ولم اطلبه، لقد مزق حلقي فلا يدخل فيه ولا يخرج

---

(١) إبراهيم / ١٦ ـ ١٧: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾....

منه، ولم اقذفه إلا بشق الأنفس وجهد جهيد، فقلتُ له عجباً من طعام!

نظر لي الملك وقال:

ـ ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾[1]

قلتُ له:

ـ من أين أتيتَ بهذا الطعام؟

قال:

ـ أنت صنعته لنفسك في دنياك، فأتيتُ به من خزانة أعمالك.

ـ عجباً، وكيف اصنع لنفسي طعاماً كهذا؟

ـ أكلك مال الحرام تجسم بهذا الشكل من الطعام، كنتَ لا تراعي في وقت عملك انك أجير لثمان ساعات يوميا في شركة أبرمت عقداً معها، فتأتي متأخرا أحيانا، أو تخرج منها مبكراً دون عذر شرعي يجوز لك ذلك.

مضت ساعة وإذا بي اسمع ضجيج أناس يصرخون. زاد الضجيج شيئا فشيئا لاقترابهم مني فتمعنتُ فيهم وإذا بهم مجاميع مجاميع من أناس ذات وجوه وأبدان سوداء والنار محيطة بهم، ونار أخرى تخرج من أفواههم وآذانهم، وهم في حالة هول وذعر شديدين، يركضون وكأنهم قد فرّوا من فزع عظيم.أصغيتُ إلى صراخهم فسمعتهم يقولون: أين نهر الماء.. أين نهر الماء!

جمعتُ قواي وقمتُ من مقامي وتبعتهم أملا في إيجاد نهر ماء كما

---

(١) المزمل / ١٢ . ١٣



يزعمون، ولم يمض وقت حتى اقتربنا من ضفة نهر كبير، وما أن وصلوا إليه حتى ألقوا بأنفسهم فيه إلا أنا إذ وصلتُ متأخرا فهممتُ باللحاق بهم ولكني سمعتُ صراخهم قد تضاعف، وعويلهم قد عظُم. نظرتُ إليهم فرأيتهم يصرخون ويستغيثون وسط نهر يغلي غليانا شديدا علمتُ فيما بعد أن مادته كانت من النحاس المذاب ذات الحرارة العظيمة. حمدتُ الله أني لم أكن معهم، ويبدو أن لدي من الأعمال ما منعتني من ذلك.

هممتُ بالعودة وإذا بي أرى مجاميع أخرى في حالة ركض شديد نحو جهة أخرى، وتلاحقهم ريح ذات حرارة وسموم حتى وصلتهم وأحاطت بهم ودخلت في مسام أبدانهم، فبدأوا يصرخون ويستغيثون، وكلما رأوا غيمة سوداء هربوا إليها ليستظلوا بظلها، فإذا هي الأخرى تبدو وكأنها دخان اسود غليظ يمطر عليهم بكتل من نار ملتهبة[1] لا تخطئ في هدفها ولا ترحم مَن تحتها.

انتهت فترة عذاب الصباح وكأنها استغرقت سنين طويلة لشدتها وقسوتها، فهدأت النار وانطفأت من تحت أقدامنا، واختفى سواد دخانها من أنظارنا، وشعاع لهيبها عن أعيننا، ورُفعت سياط ملائكة الغضب عن أبداننا، وأعلنوا بدأ الاستراحة حتى الليل، حيث وجبة العذاب التالية[2]...

---

(١) الواقعة / ٤٢ ـ ٤٤: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾.

(٢) آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة تشير إلى أن في البرزخ ليل ونهار، وان هناك وجبتين من العذاب يوميا، وهذا يبدو واضحا في آية رقم ٤٦ من سورة غافر والتي تعرض حال آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

كان يتكرر ذلك يومياً غداةً وعشياً، وبين فترة وأخرى يتغير نوع العذاب إلى آخر، لذا رأيتُ أنواعا عجيبة غريبة ذات قسوة شديدة لا تتصورها عقول أهل الدنيا، فكيف بمن يعيش فيها ويتحملها.

ذات يوم وبالتحديد بعد خمسة أيام من دخولي في جهنم، كنتُ أعيش حالة عصيبة من المرارة والألم وسط حرارة النار المشتعلة حولي، إذ كان عَرَقي يخرج من رأسي وبدني ويجري عليه ثم يتخذ سبيله إلى الأرض التي تحتي، فأراه يتبخر فورا لشدة حرارتها وعظيم لهيبها، وبينما أنا في هذه الحالة إذ جاءتني نسمة هواء باردة، فغمرتني بعذوبتها وأطفأت النار من حولي، وجرى من تحتي ماء! لا اصدق ما أرى، نعم إنه ماء يجري، وها هي قدماي تبتل منه. غرفتُ منه غرفة لأتيقن أن ما أراه حقيقة لا خيال، وقد كان كذلك.

لقد تغير كل شيء وهدأت جميع النيران، وغابت جميع مجسمات أعمالي السيئة لأعيش حينها حالة من الراحة والسكون.

سمعتُ أصواتا ما كانت غريبة عني فأصغيتُ إليها جيدا وإذا بها أصوات أهلي يتحدثون فيما بينهم، ثم ظهرت أمامي صورهم وقد اجتمعوا حول قبري[١]، نعم ها هي والدتي تدعو لي وتبكي، وها هو أخي يتلو القرآن، ما أجمل صوته وأعذب لحنه، وهذه أختي تمسك مرتضى بيدها وتحاول قراءة شيء من الكتاب الذي بيدها الأخرى[٢]،

---

(١) الحدائق الناضرة / ج٤ / ص١٦٩: (عن إسحاق بن عمار عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلتُ له: المؤمن يعلم من يزور قبره؟ قال: نعم، ولا يزال مستأنسا به ما زال عند قبره، فإذا قام وانصرف من قبره دخله من انصرافه عن قبره وحشة).

(٢) من اللطيف جدا أن تكون مقابرنا ذات وسعة وتنظيم هندسي يسمح لنا بالاجتماع حول القبر والدعاء لصاحبه، وأن يكون محيطها ذا خضرة وجمالا يجذب الناس لزيارتها، ويدعوهم للتجول بين أحضانها، فيكون في ذلك منفعة للأموات وتذكرة للأحياء وقد=

جزاها الله عني خير الجزاء... هممتُ بالتقدم نحو صورهم وإذا بصوت يناديني:

ـ لا فائدة من ذلك، اكتف بالنظر إليهم والأنس بوجودهم حول قبرك.

فهمتُ المعنى وبقيتُ انظر إليهم وأتمعن في صورهم وأحسستُ بأنس عظيم باجتماعهم هذا ولكن...

صرخت أختي الصغيرة وسط الجمع، وسرعان ما أسكتها أخي قائلاً لها:

ـ لقد أوصانا سعيد بزيارة قبره بين الحين والآخر حتى قبل يوم أربعينه، وقد عملنا بوصيته رغم مخالفة ذلك لتقاليد مجتمعنا[1]، كما انه أوصانا بعدم صراخ النساء على قبره، وعدم ارتداء لباس الحزن عليه مدة طويلة، فهل نسيتي ذلك يا أختاه؟

قالت:

ـ لا والله ما نسيتها، فأنا التي قرأتها عليكم، ولكن لا طاقة لي

=لا يتحقق ذلك إلا بأن نخصص في كل مدينة مكانا يستوعب ما قلناه ليكون مقبرة ومتنزها لنا وللأجيال القادمة التي تلينا. وهذا مقترح منّا لعل المستقبل يتكفل باجرائه ويرى آثاره على المجتمع الإسلامي ان شاء الله.

(١) بعض المجتمعات تلتزم عدم زيارة قبر الميت حتى يمضي أربعون يوما من وفاته، ولم أجد خلال بحثي ما يسند ذلك، بل وجدتُ خلافه، إذ إن الميت في أيامه الأولى يكون بأمس الحاجة إلى من يزوره ويخفف عنه غربته في عالمه الجديد الذي لم يتطبّع بعد على سكانه وأهله. أما عن زيارة الحوراء زينب لأخيها الإمام الحسين (عليهما السلام) بعد أربعين يوما (إن ثبت صحة هذا الحدث)، فإنما كان لعدم تمكنها من ذلك إلا بعد هذه الفترة، بسبب أسرها ورحلتها إلى الشام وما تبعها من أحداث أخرى، ولو تمكنت من زيارة قبر أخيها قبل هذا الوقت لما ترددت فيه قط.

بفراقه، وكلما دعوتُ نفسي إلى الصبر غلبني شيطاني ودعاني إلى الصراخ والبكاء بصوت عالٍ بحجة أن ذلك يخفف عني ألم هجرانه.

تمنيتُ أن لا يغادروا قبري ولكن ليس كل ما يتمناه الإنسان يناله، فقد اقترب موعد الرحيل ثم تركوني وذهبوا، وعاد كل شيء إلى مكانه، وتوقدت النيران من جديد، وظهرت أعمالي السيئة بهيئتها الموحشة المظلمة مرة أخرى وهي تحمل في داخلها حقد عظيم...

مضت فترة أخرى في جهنم كنتُ خلالها متعجباومتألماً من العقرب العالق في قدمي كيف لا يمل ولا يهدأ، وكيف لا يحترق بتلك النيران وحرارتها العالية، وذات يوم...

ذات يوم سمعته صرخ صرخة عظيمة، وأخرج شوكته، فنظر لي نظرة حقد وسخط ثم لاذ بالفرار بعيداً، وحينها ما وجدتُ سبباً لتصرفه هذا، ولا علمتُ حدثا يستوجب فراره هكذا، فقلت في نفسي لعل الأيام ستكشف لي ذلك.

ذات يوم اخبرني أحد خزنة جهنم أن غدا سيكون العذاب من نوع جديد، وهو صعود جبل من نار، وسيكون عذابه لي ذا درجة قليلة نسبة مع من يتسلقه من أصحاب الذنوب والمعاصي، وقال أيضا: سيكون العذاب على كل فرد يختلف عن الآخر تبعاً لدرجة معاصيه وملكاته الفاسدة.

جاء الغد وإذا بالملائكة يأتون بأشكالهم المخيفة، ويجرونني ذليلاً على ارض جهنم الملتهبة نيرانها، فلا ادري من أي آلام اصرخ واستغيث، مِن حرارة النار تحت قدمي، أم من جروح بدني الحارقة، أم من اثر سياط الملائكة الموجعة، أم من اثر الأشواك الحادة فهي

كالسكاكين المبعثرة هنا وهناك، أم من لدغات العقارب والأفاعي والتي اخذ كل منها سهمه مني، أم من الوحوش المرعبة التي ما تركتني حتى غرزت أنيابها في بدني، فقلتُ عجباً لأعمالي التي تجسمت بهذه الصور فأصبحت قطّاع طرق لي، وعجباً لنفسي أن كنتُ غافلاً عنها فلم أطهرها يوم كانت لدي الفرصة لفعل ذلك. وعجباً أن كل ما لاقيته الآن هو في طريقنا إلى جبل النار، فكيف إذا وصلنا إليه، أم كيف سيكون العذاب فيه وأنا بهذه الحالة من الضعف والعطش والجوع...

وصلنا المقصد فألقوا بي أرضاً، مكبّل الأيدي والأرجل على ارض يجري فوقها ماء اسود كالقير، يغلي كغلي القدور، والنار ملتهبة مشتعلة فيه وقد أحاطت بي من كل جانب.

ذهبوا عني وتركوني أتلوع وأتضرع، فنظرتُ أمامي وإذا بجبل عملاق لا تُرى قمته ولا تهدأ نيرانه، قد أُحيط بسور عظيم، وأمام السور ملائكة شداد غلاظ ذوي هياكل ضخمة ووجوه مرعبة، قد وقفوا بهيأة محكمة وصفوف منتظمة.بقيتُ وأنا بهذه الحالة انظر مبهوراً خائفا وإذا بأحد خزنة جهنم يضربني بسوطه ثم يقول:

ـ إن صعود هذا الجبل الذي تراه أمامك يستغرق عشر سنين حتى تصل قمته، وسوف تلاقي فيه مصائب وبلايا وأنواعامن العذاب جديدة منهكة ومؤلمة حتى تصل آخره، ثم يُلقى بك من تلك القمة في وادٍ مظلم معتم لا ترى فيه حتى قدميك، قد مُلئ بأنواع من الوحوش المفترسة الجائعة تأكل فيك ولا تشبع، وهي على هذا الحال مدة ثلاث سنين، ثم توضع ممدوداً مقيداً في صندوق من حديد ساخن مدة

خمس سنين، وسترافقك فيه أعداد من العقارب القارصة والأفاعي السامة الملتهمة، بعدها يفعل الله ما يشاء.

سكت قليلاً ثم أضاف وكأنه يهوّن عليّ ما سألاقيه فقال:

ـ إن البعض منهم يستغرق صعوده الجبل آلاف السنين، ويلاقي فيه أنواع عذاب اشد واشد مما سوف تراه وتلاقيه أنت في صعودك، ويبدو لي انك إنسان مؤمن تقي، لكن لم تزل فيك ملكات فاسدة بدرجة ضئيلة، إذ إنك ما استأصلتها من جذورها، تبعتها أعمال سيئة، فتجسمت جميعها بهذه الصور من العذاب التي سوف تلاقيها في صعودك جبل النار هذا...

أصابني غم شديد وحزن عميق وخوف لا يوصف مما أنا فيه ومما ينتظرني من أهوال وبلايا، لكني أحسستُ حينها بقدرة التوجه إلى ربي ومناجاته، فبكيتُ بكاءً شديداً، وتضرعتُ إلى ربي متوسلا، وانطلق لساني مردداً:

(يا غافر الذنب يا قابل التوب يا عظيم المن يا قديم الإحسان، أين سترك الجميل، أين عفوك الجليل، أين فرجك القريب، أين غياثك السريع، أين رحمتك الواسعة...)(١).

اقبل نحونا ملك حسن الوجه، جميل المنظر فاستبشرتُ من قدومه، وكان كلما يقترب أكثر ينفتح صدري أكثر حتى وصل إلينا، فسلّم ثم تحدث مع الخازن المرافق لي بحديث قصير وذهب، وتبعه الآخر بعده!

---

(١) مقتطف من دعاء أبي حمزة الثمالي، ولم يتمكن من النطق به إلا لأنه كان يردده بتدبر وخشوع في عالم الدنيا، فتجسم هنا بصورة قدرة على مناجاة الرب الصادقة.



بقيتُ وحيدا مبهوراً مما حدث متحيرا في أمري وما سيؤول إليه مصيري. أحسستُ بخفوت النار حولي وبرودة الماء الأسود تحتي حتى اختفى، فقلتُ في نفسي: أترى حان وقت الاستراحة! كلا ليس هذا وقتها، إذن لعل زائرا محترما يريد القدوم! لا أظن ذلك إذ لا زال العذاب قائما على غيري. أترى هو ضوء أمل بالنجاة! نعم لعله مقدمة لذلك، ولكن بأي سبب، فملائكة ربي لا يخطئون في حساباتهم ولا ينقصون ولا يزيدون في العذاب إلا بأمرٍ من الجليل الأعلى، كما إنني لا زلتُ مكبّل الأيدي والأرجل، وما زال جبل النار يرعبني بضخامته ونيرانه...

آه.. حقيقة عشتُ بين الخوف والرجاء، واليأس والأمل، فتراني تارة اضحك وأخرى ابكي، وتارة تخنقني حسرة أعمالي التي أوصلتني إلى هذا المقام من الذلة والعذاب.

لم تمض مدة طويلة حتى أتاني خازن آخر ومعه مخلوق غريب لم أرَ مثله من قبل. كان بدنه كالفرس ووجهه كملائكة الغضب وله جناحين كبيرين. تقدم الخازن نحوي وفتح عني قيودي وقال:

ـ لقد وصلتك هدية كبيرة من أهل الدنيا، لذا أمرتُ بنقلك إلى غرفة بعيدة عن جبل النار، وسوف تستقر فيها حتى يأتي أمر الله.

لا أستطيع أن أصف حالتي ساعة سمعتُ ذلك، فأصبحتُ كالمجنون الذي يتخبط هنا وهناك لا يعلم ماذا يفعل، حتى هدأتُ والملك ينظر لي فقلتُ له:

ـ اعذرني إنها الفرحة جعلتني أفعل هكذا.

لم يجبني بشيء، واخذ بيدي وأشار لي بالصعود فوق ظهر



المخلوق الذي معه. انطلق بنا بسرعة فائقة واعتلى محلّقاً فوق ارض جهنم، فرأيتُ في طريقنا مشاهد يشيب الرأس لرؤيتها فكيف بمن يعيشها!

رأيتُ أعدادا لا تُحصى من البحار، ويبدو أنها بحار من المُهل والغسلين[1] التي قرأتُ عنها في عالم الدنيا، ورأيتُ دوراً لا تُحصى من الرصاص، وأخرى من النحاس، وأخرى من الحديد، وبينما كنتُ انظر لها مبهوراً قال الملك:

ـ في كل دار منها سبعون ألف تابوت من نار، وفي كل تابوت ألف حية، ومن كل حية يصدر ألف نوع من العذاب!

ورأيتُ نساءً معلقات بشعورهن ويصرخن صراخا شديدا اختلط مع صوت غليان ادمغتهن، وعليهن سلاسل من حديدٍ ساخنٍ محمر، ورأيتُ نساءً على صور كلاب والنار تدخل في أدبارهن وتخرج من أفواههن، ورأيتُ نساءً معلقات بألسنتهن وصراخهن مثل صراخ الحمير والنار تأكلهن، والحيّات والعقارب تلسعهن وتنهشهن.

التفتُ إلى الملك لعله يوضح لي شيئا مما أرى فتدارك نظراتي إليه وقال:

اللواتي يكشفن شعورهن وزينتهن لغير أزواجهن، والصنفان الآخران اللواتي يؤذين ويلومَنَّ أزواجهن من غير ضرورة[2].

---

(١) الحاقة / ٣٥ـ٣٧: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾.
وقال السيد الطباطبائي في تفسير الميزان: وكأن المراد به (غسلين) هو ما يسيل من أبدان أهل النار من قيح ونحوه.

(٢) ورد ما يقارب هذا الوصف لحالة النساء في جهنم في بعض كتب الإسراء والمعراج.



اشمأزت نفسي من بشاعة هذه المناظر، وأغلقتُ عيني وأطرقتُ قليلاً وأردتُ أن اشغل فكري بأمر آخر، فحضر لدَي أمر الهدية التي وصلت من الدنيا وتساءلتُ في نفسي:

تُرى من الذي ذكرني بعد ثلاثين عاماً، جزاه الله عني خيراً، تُرى هل هي أمي أم أبي؟ كلا لا أظن انهما في عالم الدنيا بعد هذه المدة، تُرى هل هي من زوجتي؟ كلا إنها فارقت الدنيا قبلي. إذن لعلها من أحد أصدقائي؟ آه تذكرت صديقي مؤمن، ليتني اعلم أين هو الآن، هل ما يزال في عالم الدنيا؟ وهل هو الذي أهدى لي ذلك؟ لا اعلم...

وبينما أنا في هذه الدوامة من الحيرة والتفكير وإذا بالملك يسألني:

ـ هل تعلم من أين أتتك الهدية؟

ـ كلا لا أعلم، أخبرني بالله عليك من أين هي؟

ـ إن ابنك مرتضى لم يزل في عالم الدنيا، وهو الآن شاب مؤمن متدين جمع مبلغاً من المال خلال سنة من الجهد والتعب والعناء لغرض شراء وسيلة نقل له ولعائلته، ولكن عندما علم بوجود سبعة عوائل فقيرة في منطقته لا تملك قوت يومها، عزم على تقسيم المبلغ بينها وأهدى ثواب عمله هذا إليك، فأمر الجليل الأعلى بعدم إدخالك في جبل النار وكذلك نجاتك من عذاب عشر سنين أخرى.

غمرتني فرحة شديدة فلم أتمالك نفسي، وكأن روحي تحاول فك القيود والتحليق في عالم الفرحة والسرور، حتى خشيتُ الوقوع من على ظهر هذا المخلوق الذي لم يزل يقطع المسافات الطويلة حتى أوصلنا المقصد.

لم أكد أضع قدمي أرضا حتى تذكرتُ أن مدة العذاب المكتوبة في



الكتاب كانت إحدى وخمسين سنةً وثمانية أيام، قضيتُ منها ثلاثين عاما، وعُفي عني عشرون، إذن بقي عام واحد وثمانية أيام.

آه الويل لي، صرختُ صرخة المجنون:

ـ أنا لا أريد العودة إلى النار، لا لا أريد، لا أطيق لحظة واحدة فيها. أراد أحد الملائكة أن يجرني ويأخذني إلى الغرفة المقصودة ولكني أبيتُ ذلك وأجبته قائلاً:

ـ أنني أريد أن أناجى الجليل الأعلى، أريد أن أتوسل وأتضرع إلى ربي، أليس هو الرحمن الرحيم؟ أليس هو ارحم الراحمين؟ أليس هو حبيبي في الدنيا فكيف يتخلى عني في الآخرة؟!

ألقيتُ بنفسي ساجداً ودموعي جارية وقلبي منكسرا وأملي منقطعا من كل شيء سوى الله، وقرأتُ كلمات كثيراً ما ترددت على لساني في الدنيا:

ـ **(يا إلهي وسيدي وربي أتراك معذبي بنارك بعد توحيدك، وبعد ما انطوى عليه قلبي من معرفتك، ولهج به لساني من ذكرك واعتقده ضميري من حبك، وبعد صدق اعترافي ودعائي خاضعاً لربوبيتك)**[1].

اجتمع الملائكة حولي، وأخذتهم الحيرة من أمري فهم لا يعلمون ماذا يجب عليهم فعله، أراد أحدهم الدنو مني، لعله يتمكن من إقناعي بالذهاب، لكني لم أبال بهم، وكنت غارقاً في عالمٍ آخر...

أحسست بقدرة وجرأة أكبر على مناجاة ربي فدعوته قائلاً:

---

(١) مقتطف من دعاء كميل.



- (إلهي وسيدي وعزتك وجلالك لئن طالبتني بذنوبي لاطالبنك بعفوك، ولئن طالبتني بلؤمي لأطالبنك بكرمك، ولئن أدخلتني النار لأخبرن أهل النار بحبي لك)(١).

كان بعضهم يقول لا يمكن لنا إجباره على مغادرة المكان، انه إنسان مؤمن وفي حال مناجاةٍ لله تعالى، ولو لم يكن مؤمناً لما أجاز الله له ذلك، إذن علينا الانتظار حتى يأتي أمرٌ من الجليل الأعلى.

ازددتُ شوقاً إلى لقاء ربي ومرضاته، وأحسستُ بانقلاب عظيم في نفسي، حتى بدأتُ اشعر أن حاجتي إلى الله تغيرت وتجاوزت حدود الخلاص من عذاب سنة أخرى، وأصبحتُ أطلب النجاة من عذاب فراق ربي(٢)، فدعوته مردداً:

- (إلهي هبني صبرتُ على عذابك فكيف اصبر على فراقك، وهبني صبرتُ على حر نارك فكيف اصبر عن النظر إلى كرامتك، أم كيف اسكن في النار ورجائي عفوك، فبعزتك يا مولاي اقسم صادقاً لأن تركتني ناطقاً لأضجّن إليك بين أهلها ضجيج الآملين، ولأصرخنّ إليك صراخ المستصرخين، ولأبكينّ عليك بكاء الفاقدين، ولأناديَنّك أين كنت يا ولي المؤمنين...)(٣).

ازدادت حيرة الملائكة حولي، وتركوني بحالي ابكي وأناجي،

---

(١) مقتطف من دعاء أبي حمزة الثمالي.

(٢) إن نقاء الإنسان وتطهره من الذنوب يؤدي إلى قرب المقام من الله تعالى، وكلما كانت درجة النقاء أكبر كان القرب اعظم حتى يصل إلى مرتبة العشق والشوق إلى الله، وقد حلّق الامام علي عليه السلام في فضاء تلك المرتبة وهو لم يزل في عالم الدنيا، وذلك يبدو واضحا في هذا المقطع من دعائه المعروف بدعاء كميل.

(٣) مقتطف من دعاء كميل.



وبينما أنا بهذه الحال وإذا بي اسمع صوت ملك أقبل علينا وهو ينادي:

ـ اتركوه قد انتهى عذابه وعُفي عنه، قد جعل الله نفسه شفيعاً إليه.

اقترب منا أكثر حتى وصل إلينا وأنا أنظر إليه مبهوراً، غير مصدّق لما أرى. لقد كان وجه ذلك الملك يشع بالنور الساطع والجمال الباهر ويبشّر بالخير لمن يراه، ضمّني بجناحيه وقال:

ـ إن الجليل الأعلى يبلغك السلام ويقول: عبدي إنني ما تخليتُ عنك، ولا طردتك من رحمتي، لكنك كنتَ تقترب مني مرةً وتبتعد أخرى، وأنا دائماً أناديك وأدعوك بالتقرب والزلفى لدي، أما عذابك في جهنم فهو لروحك تزكية ونقاء كي تعيش حياة الأبد طاهراً لا يحجبك عني شيء.

بكيتُ بكاءً شديداً عندما سمعتُ كلام الملك وخطاب الجليل، وصعقتُ صعقةً غشيتُ على أثرها، فلم اعد أرى ولا اسمع ولا اشعر بشيء، وغرقتُ في إغماء عميق وعميق...



الفصل السادس

عودةٌ للأحباء

كان لقائي مع أول حبيب لي وأنا في أحضانه، انه عملي الصالح الذي عندما أفقتُ وفتحتُ عيني، أطلّت علي إشراقته المنيرة وابتسامته اللطيفة.

قال بصوته العذب:

ـ كيف حالك يا سعيد، احمد الله على سلامتك، مدة طويلة مضت وأنا أسعى لخلاصك من المأزق الذي وقعتَ فيه، ولنجاتك من بلايا أعمالك السيئة.

لم اصدق ما أرى، هل هو حقيقة أم إنني أعيش في عالم الوهم والخيال؟ بقيتُ حيرانا انظر إليه أغلق عيني مرة وافتحها أخرى، فبادرني بكلامه مرة ثانية:

ـ سعيد أنا عملك الصالح، أنا رفيقك وهاديك، هل نسيت لقائي معك قبل ثلاثين عاما؟

بدأ يمسح دموعي الجارية فرحاً للقائه، إنها دموع لقاء الحبيب لحبيبه، لقاء المشتاق إلى من اشتقتُ إليه سنين وسنين، قلتُ له معاتبا:

ـ أين كنتَ طوال هذه المدة، أنسيتَ وعدك لي في مرافقتي



والدفاع عني عند الشدائد والبلايا؟ لقد قضيتُ أقسى وأمرّ العذاب، وما كان لك حضور معي لتواسيني على مصائبي، أو تخفف عني آلامي.

- إنني لم أتخل عنك أبدا، وسعيتُ جاهدا طوال هذه المدة لنجاتك إذ كان لي علم بما تعانيه، وأول عمل أنجزته لك هو إيصال خبر إلى ابنك مرتضى في المنام بأن والده يتعذب بسبب أن عليه دَين سابق إلى صديق له اسمه احمد لم يؤدّه إليه. وفي اليوم التالي ذهب مرتضى إلى العنوان الذي أُعطي له، فوجد الرجل قد توفى حديثا، لذلك أعطى المبلغ المطلوب إلى ابنه الأكبر، واخبره بما جرى وبالرؤيا في منامه بشأن والده، وطلب منه براءة ذمة تأخير هذا المبلغ، وقد رأيتَ اثر هذا العمل بفرار العقرب العالق من قدمك، أليس كذلك؟

- آه، الآن فهمتُ سبب فرار العقرب، جزاك الله عني خير الجزاء، لقد كان يؤذيني كثيراً بشوكته، لا أعاده الله لي.

- كما إنني فرحتُ كثيراً عندما علمتُ بهدية مرتضى إليك، ومنذ ذلك الوقت سعيتُ بكل وجودي لخلاصك الأخير من جهنم حتى تمكنتُ من الحصول على إجازة الجليل الأعلى بمناجاته والتضرع إليه، ومن ثُم إذنه تعالى بنجاتك وإخراجك من نار البرزخ، ولم اترك هذا الأمر حتى أوصلتك إلى المكان الذي أنت فيه الآن، كما إنني هيأتُ لك دار استقرارك ومحل سكناك في الجنان التي سوف نرحل إليها بعد ثلاثة أيام[1].

---

(١) أمالي المفيد / ص١٩٥: (... قال: سمعتُ أبا عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليهما يقول: إن العمل الصالح ليذهب إلى الجنة فيمهد لصاحبه كما يبعث الرجل غلامه فيفرش له، ثم قرأ: وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلأنفسهم يمهدون).



ـ لا اعلم كيف أشكرك، جزاك الله عني خير الجزاء.

ـ لا تنسى أني خلاصة أعمالك الصالحة، وكل ما استكثرتَ منها في الدنيا كانت قدرتي على الدفاع عنك أكبر، وجاهي عند الملأ الأعلى أعظم.

بينما كنا نتحدث وإذا بثلاثة وجوه منيرة أقبلت علينا، اقتربت أكثر وأكثر فتمعنتُ فيها وإذا بها نفس الكائنات النورانية التي اجتمعت حولي في القبر، أنها الولاية والصلاة والصوم، جاءوا ليباركوا لي نجاتي وخلاصي من نار البرزخ، اجتمعوا حولي وتذكرتُ اجتماعهم أيام القبر الأولى ووعدهم لي باللقاء مرة أخرى، كما إنهم وعدوني بعد التهنئة والتبريك بإقامة حفل بهذه المناسبة في الأيام القادمة.

بقينا ثلاثة أيام في هذا المكان الذي كان بمثابة محطة استراحة مؤقتة، وقد توافدت خلالها وفود عديدة من الأنس والملائكة لتهنئني بمناسبة الخلاص من عذاب البرزخ.

انقضت الأيام الثلاثة فأخبرني عملي الصالح بأنه استلم الإذن بمغادرة المكان والانتقال إلى وادي السلام[1]، حيث هناك مستقر المؤمنين، وجنات عدن التي وعد الله عباده المتقين.

تهيأنا للسفر وسألتُ صاحبي عن كيفية الذهاب فقال:

ـ هناك دابة سوف تأتينا لنستقر على ظهرها ونرحل.

---

(١) بحار الأنوار / ج٩ / ص٢٣٣: (وروي عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال: ما من مؤمن يموت في شرق الأرض وغربها إلا وحشر الله روحه إلى وادي السلام).



جاءت الدابة وبدأنا الرحيل أنا وعملي، إذ لا رفيق لي غيره، ولا أنيس لي سواه...

سألته في الطريق عن مسائل عدة منها عن جبل النار فقال:

ـ إن جبل النار هو تجسّم لصفة التكبر عند الإنسان، وهو الذي قال عنه الله تعالى في كتابه ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾[1]، ويحوي على أنواع من العذاب هي تجسّمات لآثار ذلك التكبر. كما إن درجة العذاب فيه تختلف من شخص إلى آخر تبعا لدرجة تكبره ومعاصيه حتى تصل إلى المتكبرين على الله تعالى، وأما ماكان مقررا لك فهو أدنى درجاته.

ـ وماذا عن الوحوش المفترسة الجائعة في الوادي المظلم المعتم بعد جبل النار؟

ـ إنها حالات الغضب التي كانت تعتريك، وتجعلك كالوحش المفترس لمن تغضب عليه، إذ كنت تنحّي عقلك جانبا، ويغمرك ظلام الجهل المعتم الذي لا يسمح لك بالنظر إلى من تغضب عليه إلا بمنظار سَورة الغضب الضيقة.

أستمر بنا الحديث ونحن محلّقين على الدابة التي كانت تسير بسرعة لا توصف، أظن أن سرعتها كانت تفوق سرعة الضوء، والعجيب أننا كنا لا نشعر بتلك السرعة والاحتكاك مع الهواء وكأننا في طائرة مغلقة مكيّفة!

كان يغمرني شوق كبير لرؤية جنان البرزخ التي كثيرا ما قرأتُ عنها في الدنيا، وشوقي للقاء أحبتي كان اكبر، تذكرتُ والدي ووالدتي

---

(١) قرآن / المدثر / ١٧

وأهلي وزوجتي، لا ادري أين مستقرهم الآن، وهل نجوا كما نجوتُ، أم لا زالوا...

بينما كنت غارقاً في عالم الفكر والخيال، وإذا برائحة عطرة عذبة تغمر مشامي وتخرجني من عالم فكري. نظرتُ لما حولي فرأيتُ خضرة واسعة ليس لها حدود. لم تمض دقائق حتى توقفنا عندها واستقرت أقدامنا فوقها. استأذنتْ الدابة للذهاب، وحلّقت بجناحيها الشفافين إلى حيث يشاء الله لها.

قال عملي وقد أشار إلى أحدى الجهات:

ـ لنترجّل قليلاً إلى تلك الأشجار المثمرة حيث هناك نهر ماء عذب وثمار مختلفة.

ذهبنا وأكلنا من أنواع الفواكه التي لا عين في الدنيا رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كانت من الألوان بما لا تُعد، ومن الطعم بما لا يوصف، ومن الرائحة بما لا يرغب من يشمّها أن يبتعد عنها ويفارقها.

قال عملي:

ـ إن هذا الذي تراه هو مقدمة لجنان البرزخ وما ينتظرك أكبر واكبر.

ـ وماذا عن جنان الخُلد بعد يوم القيامة؟

ـ أما نعيم جنان الخلد فلا أستطيع وصفه لك الآن لأنك لن تستطيع أن تتخيل أو تتصور ما أقوله لك، ولكن اعلم أن كل ما تراه من جنة ونعيم وثمار واشجار وحور وانهار ولذة في عالم البرزخ، إنما

هي صورة وانعكاس لحقيقة النعيم والجنان والحور والأنهار واللذات في عالم الأبد بعد الحشر والحساب.

ـ وهل تعني أننا نعيش الآن في عالم الظل والخيال؟

ـ كلا، ولكن أقصد أن درجة الإحساس بلذات عالم البرزخ لو قارنتها مع عالم الأبد، لكان الفرق بينهما كالفرق بين لذتك عندما تنظر إلى صورة معلّقة على جدار وتحوي منظرا جميلا فيه جبال وشلالات وورود جذابة، وبين لذتك عندما تذهب إلى مكان ذلك المنظر، وتعيش فيه بروحك وبدنك(١).

اقبل علينا ملك في غاية الجمال فسلّم علينا وقال:

ـ لقد أتيتُ لكما بالإذن لدخول وادي السلام، تعالوا معي.

ـ سألته مستغرباً:

ـ وأين هو وادي السلام؟

ـ انتم الآن على مشارفه، تقدموا قليلاً.

---

(١) هناك فرق وتباين درجات بين عالم البرزخ وعالم القيامة، منها مايلي: (١) في البرزخ تعيش الأرواح بأبدان لطيفة شفافة، وتأخذ أشكالها الدنيوية ولكن في قالب مثالي، بينما في عالم القيامة يكون هناك معاد جسماني وروحي. (٢) في عالم البرزخ يوجد زمان وليل ونهار ومدته محدودة، بينما في عالم القيامة لا يوجد ليل ونهار ومدته غير متناهية، فهو عالم ابدي. (٣) يمكن لبعض المؤمنين الترقي في عالم البرزخ بواسطة الآثار المستمرة لأعمالهم الحسنة، والتي تركوها في عالم الدنيا، بينما لا يكون ذلك في القيامة الكبرى. (٤) في عالم البرزخ هناك حساب وجزاء أولي للأعمال وتجسم لها بصورة جزئية، بينما في عالم القيامة يكون تجسم للأعمال بصورة كاملة، وفيه حساب دقيق للغاية واستيفاء كامل لجزائها.

تقدمنا خطوة بعد خطوة وقدما بعد قدم، فإذا بباب عظيمة شفافة وقد اصطفت الملائكة عن يمينها ويسارها وهم ينتظرون قدومنا.

تقدمنا نحوهم، واقتربنا منهم فسمعنا أولهم يقول: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾(١).

تقدمنا أكثر فقال آخرهم: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾(٢).

دخلتُ أنا وعملي بسم الله الرحمن الرحيم... يا إلهي ماذا أرى! أهو حقيقة أم خيال؟ ما هذه الخضرة الواسعة المطعّمة بأجمل الألوان، يا لسعتها وجمالها، وما هذه الأشجار والبساتين الرائعة، وما هذه الأنهار الجارية والأنوار المضيئة، ومن هؤلاء الجالسين مجاميع مجاميع ووجوههم تشع نوراً وبهاءً، يبدو أنهم من جنس البشر، نعم إنهم سكان جنان البرزخ جالسين مجتمعين(٣)، ليتني اصل إليهم فأسألهم عن أهلي وأحبتي. أردتُ التحرك نحوهم ولكني تذكرتُ أني جديد العهد هنا، لذا سألتُ الملك المرافق لي:

ـ ماذا نفعل الآن؟

قال:

ـ علينا أن ننتظر حتى يأتي أمر الله.

سمعتُ اسم الله فأحسستُ بحب عظيم له وشوق للقائه، ورغبة في

---

(١) مريم / ٦٣

(٢) الحجر / ٤٦

(٣) الذكرى للشهيد الأول / ص٧٨: (وفي الكافي بإسناده إلى حبة العرني قال: خرجتُ مع أمير المؤمنين ﷺ إلى الظهر، فوقف بوادي السلام كأنه مخاطبا لأقوام.... فقال: يا حبة إن هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته، ولو كشفت لك الغطاء لرأيتهم حلقا حلقا يتحادثون، فقلتُ: أجساد أم أرواح؟ فقال: أرواح، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه الحقي بوادي السلام وإنها لبقعة من جنة عدن).

رضوانه، وتذكرتُ الآية الكريمة ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1] فقلتُ في نفسي ليتني اصل إلى رضوان الله، وهل صحيح انه أكبر من كل هذه الجنان والنعيم والصفاء؟ اترددتُ في سؤال الملك ثم تجرأتُ بقولي له:

ـ هل يمكن لي الوصول إلى رضوان الله؟

قال:

ـ إن رضوان الله ليس بالشيء المستقل عن جنان البرزخ حتى تصل إليه، فهو يرافق وجودك ويمنحك السعادة والطمأنينة في تلك الجنان، وتختلف درجته باختلاف منزلة العبد ومقامه.

سُررتُ كثيراً عندما رأيتُ الدابة التي أتت بنا قد عادت بشكلها الجذاب ونورها المشع وابتسامتها البهية، وعندما وصلت إلينا قالت:

ـ اركبوا بسم الله مجراها ومرساها.

قلتُ لها:

ـ بالله عليكِ اخبريني من أنتِ؟

قالت:

ـ أنا تجسم مساعداتك للناس وقضائك حوائج المؤمنين في الدنيا، وقد خلقني الله لأقضي حوائجك وأكون وسيلة تنقلاتك في عالم البرزخ.

ـ وكيف أستدعيكِ عند الحاجة إليكِ؟

---

(١) التوبة / ٧٢



ـ إن من خلقني أودع لدي القدرة على الحضور أمامك بمجرد حصول نية استدعائك لي.

انطلقتْ بنا وحلقت فوق الجنان وأي جنان! قلتُ لعملي:

ـ إلى أين المقصد هذه المرة؟

قال:

ـ إلى مسكنك البرزخي، إلى مثواك ومقرك الذي طالما كان في انتظارك، إلى ما غرسته في الدنيا ونما لك في الآخرة، إلى ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾(١).

لحظات لا توصف، ومشاعر لا تقاس بشيء وأنا في طريقي إلى ما وعدني به ربي...

قال عملي:

ـ لدي ما يسرّك أكثر، هل أخبرك به؟

ـ نعم، وهل هناك من لا يرغب في سماع ما يسرّه.

ـ اعلم أن الإنسان الذي يدخل السرور في قلوب المؤمنين سوف يخلق الله له من يسره في الآخرة(٢)، وهذا المخلوق ستلاقيه وقد اعد لك الكثير مما تقرّ به عينك.

ـ وهل تعلم ماذا أعدّ لي؟

ـ إن المستقبل سوف يكشف لك ذلك...

---

(١) مريم / ٦١

(٢) الكافي / ج٢ / ص١٨٩: (عن أبي عبدالله ﷺ قال: من ادخل على مؤمن سرورا خلق الله عز وجل من ذلك السرور خلقا عند موته فيقول له ابشر يا ولي الله بكرامة من الله ورضوان... ثم لا يزال معه عند كل هول يبشره ويقول له مثل ذلك فيقول له من أنت رحمك الله فيقول أنا السرور الذي أدخلته على فلان).



الفصل السابع

حوز وجنان

كان أول من استقبلني واحتضنني في قصري الجديد هي زوجتي، نعم إنها زوجتي في عالم البرزخ، إنها الحور العين التي قال عنها الله تعالى في كتابه العزيز ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[1]، كانت غاية في جمال لا يوصف، وبما يفوق أن يُقاس بجمال نساء أهل الدنيا، كان وجهها يشع نوراً فهو برّاق كبريق اللؤلؤ، وصاف كصفاء الياقوت، أما شعرها فقد تدلّى بعض منه إلى خلفها وفوق أكتافها، وبعض منه على صدرها المملوء باللؤلؤ اللماع والحلي الذهبية البراقة التي كانت تعطي بحركتها نغمات لطيفة. أما بدنها فهو خال من كل عيب، وله نقاوة وصفاء لدرجة كنتُ أرى صورتي خلال أجزائه البارزة من ثيابها الشفافة والتي كانت تتغير ألوانها وعطرها بين الحين والآخر، إنها ثياب إستبرق وحرير شفاف...

أما كلامها فعذب لا توصف عذوبته، ولا يمل منه سامعه، إذ كنتُ اطرب لحديثها، ولا أتمنى سكوتها، وكأني اسمع أنغاماً موسيقيةً رائعة منسجمة بشكل كامل مع أنغام الحلي ورنينه، ولا أبالغ لو قلتُ

(١) الرحمن / ٧٢



أن جمالها يحير العقول، ولا طاقة لأهل الدنيا على رؤيتها، ولو أنها طلعت على عالم الدنيا لطغى نورها على نور الشمس المشرقة[1]...

استقبلتني عند أول قدم لي في القصر، فأقبلتْ مبتسمة مشرقة يضيء نورها معها أينما ذهبت، تركت وصيفاتها وجواريها وخدمها خلفها وأقبلت نحوي، فبدأت تقترب مني شيئاً فشيئاً حتى وصلتني.

لحظات لا تُنسى ومشاعر لا توصف وهي تقف أمامي بجمالها الساحر ونورها المشع الهادئ، قلتُ لها:

ـ من أنتِ؟

قالت:

ـ أنا زوجتك المقترحة في عالم البرزخ، اشتقتُ إليك كثيراً دون أن أراك، وقد خيرني ربي في اختيار زوج لي، فقلتُ الخير ما اخترتَه لي، وها أنتَ أمامي قد بهرني جمالك الساحر وهيبتك العظيمة، فحمدتُ الله على اختياره، وشكرته على امتنانه.

قلتُ لها:

ـ نِعمَ الرب ربنا، وسبحان الذي خلقنا، فإن الخير كله منه وإليه، وقد رضيتُ برضاه واحمده على اختياره، واشكره على امتنانه.

عانقتها وضممتها إلى صدري فأحسستُ بسكون وطمأنينة عظيمة ولذة قصوى...

(١) ذكر الشهيد عبد الحسين دستغيب في كتاب الدار الآخرة روايات تقول: (لو أن حورية جاءت إلى هذا العالم لطغى نورها على نور الشمس...ولو أن قطرة من لعاب حورية سقطت في البحار المالحة لأصبح مائها عذبا، ولو أن ثوبا من ثياب الحور أتي به لهذا العالم لأغمي على الناس جميعاً).

دخلتُ القصر معها وأي قصر كان! كانت لبنته بعضها من الذهب الخالص وأخرى من الفضة، أما سقفه وطلاؤه فكان من مواد غريبة عجيبة سألتُ عنها فكان الجواب أن السقف من الزمرد والطلاء من الياقوت. أما أرضيته فكانت بعضها مفروشة بمواد أشبه بالزجاج المطعّم بأنواع أحجار ما رأيتُ مثلها ولا سمعتُ من قبل عنها.

تجولنا في القصر فلم أرَ له حدودا ينتهي بها، قلتُ لها:

ـ ما اعظم هذا القصر!

قالت:

ـ إن مواده ولبنته التي تراها هي أعمالنا الحسنة قد تجسمت بهذه الأشكال، فكونت قصراً بهذه العظمة.

تحيرتُ في أمرها وجوابها وتساءلتُ في نفسي: أيكون لديها أعمال حسنة وسيئة مثلي؟! قلتُ لها مستغربا:

ـ ما اسمكِ؟

قالت:

ـ اسمي سناء.

ـ انه من أسماء الدنيا، أليس كذلك؟

ـ نعم.

ـ وهل أنتِ من صنف البشر؟

ـ نعم.

ـ وفي أي بقعة من الأرض كنتِ؟

ـ في ارض تركيا.

ـ لكني أراك تتكلمين العربية!

ـ نعم، إن روح الإنسان لها قدرات فائقة أودعها الله فيها، فإذا تحررت من بدنها المادي ظهرت تلك القدرات، ومنها التكلم بجميع اللغات حتى لو لم يكن الإنسان يجيدها، بل لم يكن يعرفها في عالم الدنيا[1].

ـ اخبريني بالله عليكِ ما قصّتك؟

قالت:

ـ كنتُ امرأةً مؤمنةً بالله، راضيةً بقضائه، شاكرةً لنعمائه رغم وجود عاهة في بدني والتي منعتني من الزواج في الدنيا، وعندما علمتُ أن لا سبيل لشفائي، أصبحت الدنيا لا شيء عندي، وتوجهتُ بجوارحي وجوانحي إلى آخرتي، فتخلقتُ بأخلاق الإسلام، وتقربتُ إلى ربي العلاّم، وتيقنتُ أني خُلقتُ لغير عالمي، وأصبحتُ أرى روحي اعظم من بدني، فحررتها من قيوده، وحلّقتُ بها إلى عالم الملكوت، فدخلتُ جنتي وأنا في دنياي، وشعرتُ بسعادة عظيمة قبل مماتي حتى توفاني ربي، وأنجز لي وعده فيما حُرمتُ منه، وها أنذا معك بتمام العافية وعظيم الراحة في جنات عدن التي وعد الله عباده المتقين.

ـ إنني أرى جمالكِ يفوق جمال حور العين التي رأيتها في طريقي إلى هنا، فهل ترين في شخصي ما يناسب جمالكِ وكمالكِ الذي أراه؟

ـ نعم إنني أرى فيكَ ذلك. انكَ الآن بأكمل هيأة، وأجمل صورة،

(١) بحار الأنوار / ج١١ / ص٥٦: (...وكان لسان آدم العربية وهو لسان أهل الجنة...). وهناك شواهد تجريبية في عصرنا الحالي تحكي عن حالات التنويم المغناطيسي، إذ يمكن لروح النائم بهذه الطريقة أن تتحدث بلغات مختلفة حتى التي لم تعرفها سابقاً.

فجمالكَ عظيم يفوق جمال يوسف الذي كنا نسمع عنه[1]، ونورك يسعى بين يديك ليعطيك بهاءً أكبر وكمالاً أعظم.

ـ آه، إنني لم اكن اعلم بذلك حتى سمعتُ كلامكِ هذا.

قالت:

ـ ليس هذا فقط، بل كل ما أحاط بهذا القصر من حدائق خلابة وبساتين جذابة، وكل ما فيها من خدم وجواري هو لك، كما إن هناك قصورا وحدائق عظيمة أخرى في أماكن غير التي أنت فيها الآن، ويمكنك الذهاب إليها في أي وقت تشاء.

استمر بنا الحديث طويلاً أحسستُ خلاله بسعادة عظيمة ولذة فائقة، وكانت الأطباق تأتينا بين الحين والآخر بأيدي الولدان المخلدين الذين كانوا يطوفون علينا فهم كاللؤلؤ المنثور[2]، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، ليزيد ذلك من اجتماعنا وحديثنا صفاءً أكثر ولذة أعظم.

تجولنا في الحدائق المحيطة بالقصر، وكانت الأشجار تبادرنا بالسلام، وتدعونا لتناول ثمارها، وقد كان بلاط تلك الأشجار من الياقوت وترابها من المسك الأبيض وسقيها من الزنجبيل والعسل، وعشبها من الزعفران، وظلها مجالس لأهل الجنة وخدمها. أما الورود الملونة فكانت تستقبلنا بأنغامها العذبة، ورائحتها العطرة، وتنحني لنا كلما اقتربنا منها. وأما الطيور فكانت تحوم في فضاء تلك الحدائق،

---

(١) روضة الواعظين / ص٥٠٥: (قال ﷺ: والذي انزل الكتاب على محمد إن أهل الجنة ليزدادون جمالاً وحسناً...).

(٢) الإنسان / ١٩: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾.

وتنتقل بين غصن وآخر لتعطي جمالاً أكثر بألوانها، ونغمة لطيفة بتغاريدها.

تقدمناأكثر فرأينا نهراً يجري فيه ماء زلال يُشاهَد من خلاله قعره الذي يبدو انه من الياقوت الأحمر، وحصاه من الدر واللؤلؤ، وقد وقفت على جوانبه جَواري تحمل كل منها كأساً من مائه، وتدعونا بصوتها العذب للشرب منه.

تقدمنا أكثر فرأينا نهراً آخر من لبن بياضه كبياض الثلج، يجري من مرتفع إلى منخفض ليكوّن شلالاً تقف الجواري على جانبيه، وتملأ الكأس منه لتعرضه علينا علّنا نتناول منها.

قالت سناء:

ـ وهناك نهر آخر أمامنا وهو من عسل مصفّى[1]، هل تحب الذهاب إليه؟

ـ لنترك الذهاب إليه ومشاهدته إلى وقت آخر.

كانت هناك أمكنة للجلوس على حافة النهر، وعندما وصلنا إليها جلسنا قليلاً لنشاهد تلك المناظر والحدائق الخلابة ونتناول شيئاً منها، وبمجرد أن نوينا لحم طير مشوي سمعنا نداءً لأحد طيور الجنة من على غصن فيها وهو يقول بصوت جميل:

ـ أنا طير خلقني الله في الجنة، وليس في الجنة عين إلا شربتُ

---

(١) محمد / ١٥: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾....

منها، ولا فاكهة إلا أكلتُ منها، ولحمي من هذه العيون والثمار فهل تشتهيا الأكل منه؟

أجبته قائلاً مستغرباً:

ـ نعم.

وما أن قلتُ ذلك حتى رأيته ألقى بنفسه أمامنا وخفق بجناحيه ثم خرج من كل ريشة منه قطعة لحم. نظرتُ إلى سناء وقلتُ لها:

ـ تفضلي بسم الله، هذا من فضل الله.

ولما انتهينا من تناول ذلك اللحم فوجئنا بعودة الطائر إلى حالته الأولى، إذ رفرف بجناحيه وعاد إلى غصنه مرة أخرى.

قلتُ لسناء:

ـ هل كنتِ تتوقعين الحصول على ما تشاهدينه الآن؟

ـ نعم، ولكن كان توقعي بما يناسب تصوراتي المادية في الدنيا، أما ما أشاهده الآن فهو يفوق تلك التصورات جميعها، ورأيتُ أشياءً ما كان بالإمكان تخيلها في عالم الدنيا.

ـ العجيب يا عزيزتي انهم يقولون: إن ما نشاهده الآن في عالم البرزخ ليس إلا انعكاسا لحقيقةٍ في عالم الأبد، والبرزخ قطرة من بحر عالم الخلود...

الفصل الثامن

شوقٌ ولقاء



أقبل علينا شخص يبدو من شكله أنه ليس من الخدم والجواري، وتظهر عليه ابتسامات لطيفة، استأذن منّا وبادرنا بالسلام وقال:

ـ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.

أجبناه معاً وبصوت واحد:

ـ وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

سألته من يكون، فقال:

ـ أنا السرور الذي أدخلته في قلوب المؤمنين..

قاطعته مسروراً:

ـ نعم نعم، اخبرَني عملي الصالح أني سألاقيك، وان لديك مفاجئات سارة قد أعددتها لي.

ـ صحيح ما أخبرَك به.

ـ وأين مفاجئاتك؟

أشار إلى سناء وقال:

ـ زوجة من الخيرات الحسان ألم تُدخل السرور في قلبك؟

ـ كيف لا، بل غمرتني فرحة وسرورا لا حدود لهما، ولكن اخبرني ما دورك بذلك الأمر؟



قال:

- كنتُ أنا الوسيط بينكما، وقد سعيتُ بهذا الأمر منذ نجاتك وخلاصك من تبعات ملكاتك وأعمالك السيئة.

توقف قليلا ثم ابتسم وقال:

- ولَدَي أمر آخر يسرك كثيراً.

- قل لي بالله عليك ما هذا الأمر الذي يسرني كثيراً؟

- سوف يزورك في قصرك بعد ثلاثة أيام شخص عزيز عليك، قد كان لك في الدنيا سنداً وهادياً، وهو الآن في مقامات عالية اعظم من مقامك الذي أنتَ فيه، فهو يتمكن من زيارتك بينما أنت لا تستطيع ذلك إلا للأشخاص الذين هم أدنى منك.

غمرتني فرحة كبيرة بسماع هذا الخبر خالطتها حيرة في من سيكون هذا الزائر! طلبتُ من سرور أن يخبرني باسمه فأبى إلا أن يجعلها مفاجأة لي في يوم اللقاء مما زاد الطين بلّة والحيرة حيرة.

سالتُ سرور:

- كيف تمكنتَ من تهيئة هذا الأمر كله؟

- إن خدمتك لضيوفك في الدنيا وسعيك لتوفير كل الراحة لهم بما يسرهم ويزيل عنهم أتعاب السفر وعناء الطريق كانت خالصة لله، وقد تجسّم عملك هذا بهيئة قوة مكنتني من هذا الأمر.

مضت ثلاثة أيام وجاء اليوم الموعود. كان كل من في القصر متهيئاً لساعة اللقاء ومتشوقاً لرؤية الضيوف الكرام، ويبدو على سكان القصر نشاط دؤوب وحركة كبرى بعدما عرف كل منهم دوره وواجبه، وترى الواحد منهم يبشّر الآخر ويحثه على العمل، فقلتُ في نفسي عجباً!

يبدو أن الجواري والخدم فرحون أكثر منا بقدوم الزائر، أما وصيفات سناء فقد اجتمعن حولها فالبسنها أنواعا جديدة بديعة من الحلي والأساور وملابس جذابة بألوان براقة، فزادها جمالاً وكمالاً فوق جمالها وكمالها.

اقترب الموعد وبلغ التهيؤ لاستقبال الزائر ذروته وحان اللقاء، نعم إنها علامات تدل على قدومه، فها هي جنتي تزداد نوراً فوق نورها، وها هي الطيور زادت من تغاريدها، والورود من ألوانها وروائحها، والأشجار من ثمارها...

اقبل الزائر والنور يسعى بين يديه، والبسمة على شفتيه، والملائكة تحفه يميناً وشمالا، عانقني وضمني إلى صدره وقال:

ـ هل وجدتَ ما وعدك ربك حقاً يا سعيد؟

أجبته ودموعي جارية لفرحة لقائه:

ـ نعم وجدتُ ما وعدني ربي حقاً وزيادة يا مؤمن.

اجل انه صديقي مؤمن الذي كنتُ أتمنى رؤيته، وأتخيل ابتسامته، وطالما تذكرتُ نصائحه لي في الدنيا والتي كلما رأيتُ آثارها في الآخرة ازددتُ شوقا إليه ورغبة في لقائه.

علم أني قد عرفته فضمني إلى صدره مرة أخرى وقال:

ـ يبدو انك ما زلتَ تذكرني يا سعيد.

قلتُ له:

ـ كيف أنساك يا مؤمن وقد تربيتُ على يديك، فكنتَ تسهر الليالي من اجلي، وتتحمل العناء في تعليمي مفاهيم ديني وأحكام إسلامي. أنت الذي وضعتَ وردة الإسلام في يدي وسقيتها حتى نمت

وترعرعت ودخلت في قلبي، فأصبحت جزءاً لا ينفصل من حياتي.أنت يا مؤمن كنتَ نوراً أستضيء به في ظلمات الدنيا وشبهاتها، واستعين به من الزلق والمتاهات، كنتُ أقتبس منك نورا في عالم الفناء فكيف يزول عن قلبي شوق لقائك في عالم البقاء...

الفهرس